

مسابقة
السنة النبوية

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية



العدد ٤٥٧ - السنة التاسعة والثلاثون - المحـرم ١٤٣١ هـ - الثمن ١٥٠ قرشـا

مبادئ الاقتصاد
الإسلامـي وخصائصه



شهر الله المحرم وما أحدث الناس فيه

- حب سورة الإخلاص يُوجب دخول الجنة
- وفد أنصار السنة في ضيافة خادم الحرمين في الحج
- دروس من هجرة نبينا محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٥٧ المحـــرم ١٤٣١ هـ

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

ثمـــن النـــسخـــة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتـــراك الســنوي

١. في الداخل ٢٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢. في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

"السلام عليكم"

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها

علم لا يُعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا يُنفَق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا قَدَّمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل عن طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطلٌ عن استدراك فارط واغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما ينفع، وخدمة مَنْ لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتماع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهوى والاستعداد للقاء الله.

فالبشرى لمن يستمع القول فيتبع أحسنه.

رئيس التحرير







في هذا العدد





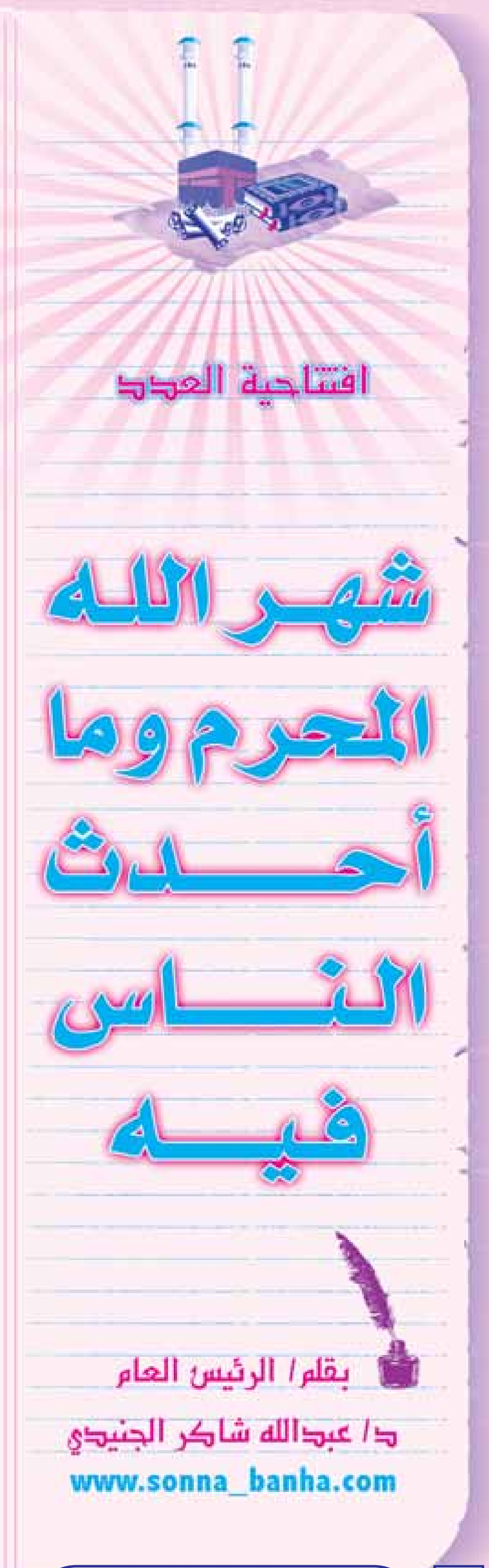




رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط
سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي
التصميم والتنفيذ الفني
أحمد إبراهيم صوابي



البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فشهر الله المحرم من الأشهر الفاضلة، وهو من الأشهر الحرم، وقد أضافه النبي ﷺ إلى الله تكريمًا وتشريفًا له، والصيام فيه من أفضل القُرُبات، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصيامِ بعدَ رمضان شهرُ الله المحرم، وأفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل». [مسلم: ١١٦٣].

وهذا الحديث صريح في أن أفضل ما تُطوِّع به من الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم. قال النووي -رحمه الله-: «فيه تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، وقد سبق الجواب عن إكثار النبي ﷺ من صوم شعبان دون المحرم، وذكرنا فيه جوابين:

أحدهما: لعله إنما علم فضله في آخر حياته.

والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما». [شرح النووي على مسلم: ٨ / ٥٥].

وقال ابن رجب: «ولما كان هذا الشهر مختصًا بإضافته إلى الله، وكان الصيام من بين الأعمال مضافًا إلى الله؛ فإنه له من بين الأعمال، ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به، وهو الصيام، وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله: إنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل، ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يُحِلّونه ويحرِّمونه مكان صفر، فأشار إلى أنه شهر الله الذي حرمه، فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره». [لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص٥٥].

وصيام يوم العاشر من هذا الشهر أفضل القربات، وقد وردت في فضله وعظيم أجره أحاديث كثيرة، منها: حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: «قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجَّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «فأنا أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه» [البخاري: ٢٠٠٤، ومسلم ١١٣٠].

عزم النبي £ في آخر عمره على أن لا يصوم يوم عاشوراء مفرداً، بل يضم إليه يوماً آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه

وفي مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، وصيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفر السنة التي قبله» [مسلم: ١١٦٢].

وكان للنبي £ في صيامه أربعة أحوال:

الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة، ولا يأمر الناس بالصوم، وقد ورد ذلك عن عائشة كما في الصحيحين وغيرهما.

الحالة الثانية: أنه £ لما قدم المدينة، ورأى اليهود يصومونه ويعظِّمونه؛ أمر بصيامه وحثَّ عليه، وقد سبق ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك.

الحالة الثالثة: أنه لما فُرض صيام شهر رمضان ترك النبي £ أمْر أصحابه بصيامه، كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «صام النبي £ عاشوراء، وأمر بصيامه، فلما فُرض رمضان ترك» [البخاري: ١٨٩٢، ومسلم ١١٢٦].

الحالة الرابعة: أن النبي £ عزم في آخر عمره على أن لا يصومه مفردًا، بل يضم إليه يومًا آخر؛ مخالفةً لأهل الكتاب في صيامه، كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنه- قال: «حين صام رسول الله £ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظِّمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله £ : «فإذا كان العام المقبل -إن شاء الله- صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله £ » [مسلم: ١١٣٣].

وبهذا يتبين فضل يوم عاشوراء، وأن حرمته قديمة، وما ذكرته من أحاديث هي بعض ما جاء في فضله، واستحباب كثرة الصيام بصورة عامة في شهر الله المحرم، غير أن طوائف من المبتدعة لم يقفوا عند هذا القدر، بل أحدثوا بدعًا عظيمة منكرة في هذا الشهر:

منها اعتبارهم له عيدًا كالأعياد المرسومة للمسلمين بالتوسعة، واتخاذ الأطعمة الخاصة، وهذا من تلبيس الشيطان على العامة، وهو من عمل اليهود في الأصل، كما روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء، يتخذونه عيدًا ويُلبسون نساءَهم فيه حُليهُم وشارَتهُم [الشارة الهيئة الحسنة، والمعنى: يلبسونهن لباسهم الجميل الحسن]، فقال رسول الله £ : «فصوموه أنتم» [البخاري: ٢٠٠٥، ومسلم: ١١٣١].

وهذا يدل على أن المشروع فيه الصيام فحسب، بنص كلام النبي £ ، وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «إنه لم يصحّ عن النبي £ في يوم عاشوراء غير صومه» [الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، ص٢٧١].

كما استحب المبتدعةُ الاكتحالَ والاغتسال في هذا اليوم، وكل هذا لا أصل له.

ومن أعظم البدع المظلمة في هذا اليوم: بدعة الحزن عند الرافضة، وسببها ما حصل للإمام الحسين بن علي -رضي الله عنهما- في هذا اليوم من الشهادة، ولا شك أن مقتل الحسين -رضي الله عنه- كان من المصائب العظيمة التي أُصيب بها المسلمون، ونحن نعتقد أنه قُتل مظلومًا، وقتله

▭ نحن نعتقد أن الحسين رضي الله عنه قتل مظلوماً، وقتله شهادة له وكرامة، لكننا لا نرتكب ما يسخط الرب كلما جاءت ذكرى قتله ▭

شهادةٌ له وكرامةٌ؛ لأن الله يرفعه بذلك عنده درجات، ولكن الرافضة يقومون في هذا اليوم بأعمال منكرة من الحزن واللطم، والصراخ والبكاء، والضرب على الرءوس والصدور، وإنشاد المراثي، مما قد علمه القاصي والداني، وهذا كله ليس من دين الله في شيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وصار الشيطان بسبب قتل الحسين -رضي الله عنه- يُحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يُفضي إليه ذلك من سبّ السلف ولعنتهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب، حتى يُسبّ السابقون الأولون، وتُقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب، وكان قصد من سنّ ذلك فتحَ باب الفتنة والفُرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجبًا ولا مستحبًا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله ﷺ». [منهاج السنة النبوية ٤ / ٥٥٤].

وما يفعله الروافض في هذا اليوم مما ذكرت بعضه آنفًا مخالف لشرع الله الذي أمر به عند حلول المصائب، والذي أمر الله به ورسوله ﷺ في المصيبة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وكان النبي ﷺ يحثّ على ذلك، كما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها». قالت: فلما تُوفّي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه؛ رسول الله ﷺ. [مسلم: ٩١٨].

وأما لطم الخدود وشق الجيوب؛ فليس من الإسلام في شيء، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». [البخاري: ١٢٩٤، ومسلم: ١٠٣].

وهذا وعيد شديد لمن يفعل ذلك، وقد ذكر ابن حجر أن فائدة إيراد الحديث بهذا اللفظ: المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك. [فتح الباري: ٣ / ١٦٣].

وعن أبي موسى قال: «وَجِع أبو موسى وجعًا فغُشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة [وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة]، والحالقة [وهي التي تحلق شعرها عند المصيبة]، والشاقة [وهي التي تشق ثوبها عند المصيبة]» [البخاري ١٢٩٦، ومسلم ١٠٤ واللفظ له].

وهذه الأمور المنهي عنها -وهي من كبائر الذنوب- تفعلها الرافضة في مثل هذا اليوم، وهي من أسباب الطرد والإبعاد من رحمة رب العباد، وبعضها من أمور الجاهلية كما في حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» [مسلم: ٩٣٤].

﴿ إن الرافضة هم الذين قتلوا الحسين رضي الله عنه وقال له محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية): يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ﴾

ومما أرى ذكره في هذا المقام أن الرافضة هم الذين قتلوا الحسين وغدروا به رضي الله عنه، وقد نصح محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أخاه الحسين رضي الله عنه قائلاً: يا أخي، إن أهل الكوفة قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى» [نقلاً من كتاب: حقبة من التاريخ لعثمان الخميس، ص٢٤٨].

والموقف الصحيح من قتل الحسين -رضي الله عنه- أنه ينبغي لكل مسلم أن يحزن لقتله، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، ولكن قتله ليس بأعظم من قتل الأنبياء، وقد قُتل قبله أبوه، وهو أفضل منه، كما قُتل عمر وعثمان رضي الله عنهم جميع أصحاب النبي ﷺ [يراجع البداية والنهاية لابن كثير ج٨ / ٢٠٤- ٢٠٥]، ولم يفعل أحد من المسلمين ما تفعله الرافضة إلى اليوم مع واحد من هؤلاء، ولذلك لا يجوز للإنسان إذا تذكر مقتل الحسين رضي الله عنه أن يقوم باللطم والشق والضرب على الرأس حتى يسيل الدم، وما شابه ذلك، فإن هذا كله لا يجوز عند حدوث المصيبة، فكيف مع طول الزمن، ثم ما الفائدة منه؟!

إن من يشاهد الرافضة وفعلهم في هذا اليوم يدرك بداهة فساد ما هم عليه، وضلال معتقدهم، والمسلم الصادق الواعي يربأ بنفسه أن ينخدع بهؤلاء، أو يرى صدقهم فيما يفعلون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وإذا كان الله تعالى قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة، فكيف مع طول الزمان، فكان ما زيَّنه الشيطان لأهل الضلال والغي من اتخاذ يوم عاشوراء مأتمًا، وما يصنعون فيه من الندب والنياحة، وإنشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سبّ السابقين الأولين» [مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٥ / ٣٠٨- ٣٠٩].

وقد ابتدع النواصب [وهم الذين ناصبوا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه العداء وكفَّروه] بدعةً أخرى في مقابلة بدعة الرافضة، وهي بدعة السرور والفرح في هذا اليوم، واتخاذه عيدًا، تُلبس فيه ثياب الزينة، ويُوسَّع فيه على العيال، وقد رووا أحاديث باطلة في الاكتحال والتوسعة على العيال، منها حديث: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه». وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وجزم السخاوي بوضعه في المقاصد الحسنة، وساق قول الحاكم: «والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي ﷺ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قَتَلَة الحسين عليه السلام» [المقاصد الحسنة للسخاوي، ص٦٣٣].

وحديث التوسعة على العيال سُئل عنه الإمام أحمد فقال: لا أصل له [الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، ص٢٧٠]، وذكر الألباني أن شيخ الإسلام ابن تيمية حكم عليه بالوضع. [مشكاة المصابيح ١ / ٦٠١].

وفعل هؤلاء وهؤلاء في هذا اليوم من البدع المظلمة، ولم يثبت في فضل عاشوراء سوى ما جاء في صيامه على التفصيل المذكور آنفًا.

وفق الله المسلمين لاتباع السنة، والله الهادي إلى سواء السبيل.



خطــورة الحوثيين .. وعنصـرية منع المآذن !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، وأنزل علينا أفضل كتاب، وأرسل إلينا أعظم رسول، وشرع لنا أكمل ملة، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.. وبعد:

عام جديد يُطلُّ على أمة الإسلام، وفي الأفق خطر جديد يَبُثُّ سمومه على الأمة، وينخر في جسدها، فيما تقوم به الدولة الرافضة الإيرانية من زَعْزَعةٍ لاستقرار الدول المجاورة، بزرع علمائها فيها، وإمدادهم بالمال والسلاح، وجعلهم طليعة لنشر المشروع الرافضي في تلك البلدان، رافضية إيران التي تحاول فرض السيطرة والهيمنة على العالم الإسلامي من خلال مشروع إيران الفارسي، والمذهبي على المنطقة كلها، تلك الدولة التي ساهمت بشكل مباشر في اجتياح واحتلال وتدمير العراق وأفغانستان، يبدو أن هذا الانتصار الكبير للروافض في ظل حالة الهوان التي تعيشها الأمة، قد دفعها لنقل المعركة إلى مكان جديد، فكانت وجهتها هذه المرة إلى اليمن؛ حيث الحوثيون الذين يقطنون في منطقة «صعدة» شمال اليمن، وإلى الجنوب من حدود المملكة العربية السعودية، فوجهوا دعمهم بالمال والسلاح لفرقة «الجارودية» المنشقة عن المذهب الزيدي، والتي أضحت امتدادًا للشيعة الاثنى عشرية في إيران...

وبين عالَم غربي طالما تشدَّق بكلمات رنانة عن الحرية الدينية الزائفة، يطلبها من المسلمين، بينما رائحة العنصرية البغيضة تُزْكم الأنوف، فبالأمس كانت المآذن، وقبل الأمس كان الحجاب، واليوم المساجد، وغدًا ننتظر طعنات أخرى توجه للإسلام والمسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحوثيون عبر التاريخ !!

كانت البداية في تسعينيات القرن الماضي في محافظة «صعدة» في جمهورية اليمن؛ حيث خرجت للوجود حركة تنظيمية أطلقت على نفسها «الشباب المؤمن»، كان من أبرز مؤسسيها بدر الدين الحوثي، ثم تولى رئاستها ابنه حسين بدر الدين الحوثي، وكان نشاط هذا التنظيم في بداياته فكريًا، يهدف إلى تدريس المذهب الزيدي.

وحينما حدثت الوحدة اليمنية، وفُتح المجال أمام التعددية

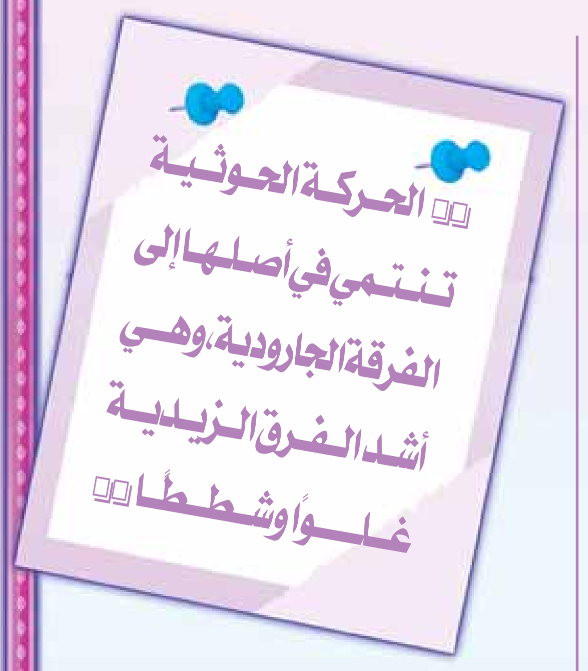
الحزبية، كان لهذا التنظيم مقعد واحد في مجلس النواب في الحكومة اليمنية ممثلاً عن الطائفة الزيدية، وفي تلك الفترة ومع انشقاق بين علماء الزيدية من جهة، وبين بدر الدين الحوثي من جهة أخرى، بسبب آراء الحوثي المخالفة للزيدية، ومنها: دفاعه المستميت ومَيْلُهُ الواضح لمذهب الشيعة الاثنى عشرية، وقبوله ببعض معتقداتهم، فأصدر حينها علماء الزيدية بيانًا تبرؤوا فيه من الحوثي وأتباعه وآرائهم، عندها اضطر الحوثي للهجرة إلى إيران، وعاش هناك عدة سنوات تغذى فيها من المعتقد الصفوي، وازدادت قناعته بالمذهب الإمامي الاثنى عشري.

وفي عام ٢٠٠٢م عاد الحوثي إلى بلاده، وعاد إلى تدريس أفكاره الجديدة، والتي منها سبّ الصحابة وتكفيرهم، ووجوب أخذ الخُمُس، وغيرها من المسائل التي وافق فيها مذهب الشيعة الإمامية، وفي تلك الأثناء أيضًا كانت الحركة الحوثية ترسل أبناء صعدة للدراسة في الحوزات العلمية في قم والنجف، ليلقنهم أصحاب العمائم الصفوية هناك أن كل حكومة غير ولاية الفقيه النائبة عن الإمام المنتظر هي حكومة غير شرعية، وغير معترف بها، ولهذا كان للحركة الحوثية اتجاه ثوري ناقم على الحكومة هناك، فاندلعت حروب ستة بين الفريقين، كلفت بلاد اليمن آلاف الأرواح وخسائر مالية فادحة، مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها اليمن.

ولقد كان الدعم الصفوي بالمال والعتاد من أهم الأسباب التي جعلت هذه الحركة تبرز على الساحة في سنوات قلائل؛ فضلاً عن الشعارات الرنانة التي كان يرفعها الحوثيون؛ كشعار: «الموت لأمريكا»، و«اللعنة لليهود»، وغيرها من الشعارات الخداعة التي أكسبتهم تعاطفًا كبيرًا بين أبناء اليمن، وهذه إحدى الحيل الرافضية في كسب تعاطف الشعوب الإسلامية المقهورة !!

عقيدة الحوثيين.. والانحراف والضلال الفكري والعقدي

وإذا اقتربنا من العقيدة الحوثية فإننا سرعان ما نلمس الانحراف الفكري والضلال العقدي في أبهى صُوره، فالحركة الحوثية تنتمي في أصلها إلى الفرقة الجارودية، وهي أشد الفرق الزيدية غلواً وشططًا، فمن عقيدتها أن النبي £ نصّ على إمامة عليّ بعده بالوصف لا بالاسم، وأن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي بن أبي طالب؛ يقول العجوز الضّالُ بدر الدين الحوثي في كتابه [إرشاد الطالب / ص١٦]: الولاية بعد رسول الله لعلي - عليه السلام- ولم تصح ولاية المتقدمين عليه؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يصح إجماع الأمة عليهم، رضي الناس بذلك أم لم يرضوا.



وقد قال الله سبحانه عن أصحاب محمد £ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأثنى عز وجل عليهم بقوله: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

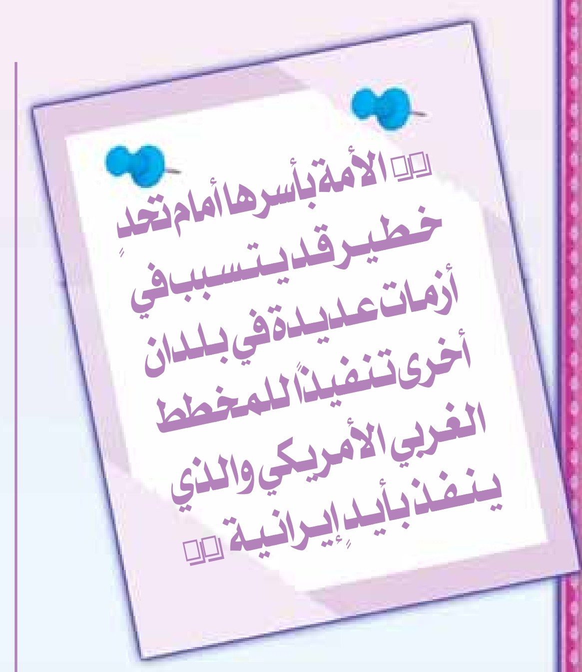
وزكاهم أيضًا بقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وأفضلهم الصديق رضي الله عنه، الذي نزل فيه قول الله جل وعلا: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

اختارهم الله لصحبة نبيه، وتبليغ رسالته من بعده، يقول أبو زرعة - رحمه الله -: «إذا رأيت الرجل يَنْتَقِصُ أحدًا من أصحاب النبي £ فاعلم أنه زنديق».

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام».

واستمع لقول زعماء الحركة الحوثية



ومؤسسيها عن صفوة الأمة وسابقيها، يقول العجوز الحوثي - بدر الدين صاحب كتاب «الإيجاز في الرد على فتاوى الحجاز وعلى عبد العزيز بن باز» -: «أنا عن نفسي أومن بتكفيرهم»؛ يعني: أصحاب النبي ﷺ.

ويقول ابنه حسين الحوثي: «واحترامًا لمشاعر السنة في داخل اليمن وخارجها كُنا نسكت عن اعتقادنا أنهما - أي الشيخين أبا بكر وعمر - مخطئون عاصون ضالُّون».

وقال أيضًا في أحد خطبه ما نصه: «الأمة في كل سنة تهبط نحو الأسفل من جيل بعد جيل إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود ومن عهد أبي بكر إلى الآن»!!

البعد العقدي.. والحركة الشيعية الباطنية!!

إن من الخطأ البيِّن تنحية البعد العقدي عن هذه الحركة الشيعية الباطنية، ومن الخطأ أيضًا نسيان تاريخ الحركات الشيعية الثورية التي عانى منها المسلمون عبر تاريخهم؛ كحركة القرامطة، والحركة العُبيدية، والصفوية، وغيرها من الحركات التي أذاقت المسلمين الويلات، وأدخلت أهل الإسلام في صراعات داخلية مريرة، فما هذه الحركة إلاَّ امتداد لتلك الحركات الباطنية جاءت استجابة للصوت الصفوي الذي دعا لتصدير الثورة المزعومة في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن الصعب أن نفصل هذه الحركة عن التوسع الشيعي في البلاد الإسلامية؛ فالميل العقدي للشيعة الاثنى عشرية قد ظهر من خلال أفعال مؤسسي هذه الحركة وفي أقوالهم، وصرح غير واحد من السياسيين في اليمن أن إيران هي الداعم الرئيس لهذه الحركة التي تسعى للانفصال، والقنوات الشيعية تقف على قدم وساق مع الحركة الحوثية، وتُظهرهم بمظهر المظلوم المضطهد، والمخطط الصفوي لابتلاع العالم الإسلامي واضح للعيان من خلال أذرعه الموزعة هنا وهناك، فقد بشرت الثورة الصفوية أتباعها بقرب ظهور مهديهم الغائب المنتظر، وأن هذا الظهور لن يكون إلاَّ بعد ثورات متتالية على من ظلم أهل البيت، وسلب منهم حقوقهم، ولذا فهذه الثورات - بحسب المعتقد الصفوي - تمهِّد لخروج الإمام الغائب الحجة!! كما يزعمون.

وإنك لتعجب من مرويات يتداولونها في كتبهم - وليست مفتراةً عليهم - وكيف يفضلون الحج إلى مشاهدهم أكثر من الحج إلى بيت الله، بل ربما وصل الأمر بهم إلى اعتقاد كربلاء حرمًا آمنًا، وقد جاء في أحد كتبهم ما ينسبونه زورًا للإمام جعفر أنه قال: لو أني حدثتكم بفضل زيارته «الحسين»، وبفضل قبره، لتركتم الحج رأسًا، وما حج منكم أحد، ويْحكَ أما علِمت بأن الله قد اتخذ كربلاءَ حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتخذ مكة حرمًا». [بحار الأنوار: ١٠١ / ٣٣، وأصول مذهب الشيعة ٨ / ٤٦٠].

وإن قومًا تلك بعض معتقداتهم وسلوكياتهم ليستحقوا التنديد والكشف عن انحرافاتهم، فاللهم اصرف عن المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل كيد الكائدين في نحورهم !!

الحروب الستة التي خاضها الحوثيون في اليمن

كانت الحرب الأولى في ١٨ يوليو ٢٠٠٤م، والتي قُتل فيها حسين الحوثي مؤسس الجماعة، وقائدها العسكري لتكشف عن وجود تحصينات قوية للحوثيين في الجبال والوديان، وأنهم كانوا يستعدون للحرب منذ فترات طويلة، فحفروا في الجبال، وأقاموا الخنادق، وكدسوا الأسلحة والذخائر، ونجحوا خلال تلك الحرب في امتصاص الصدمة من الحكومة اليمنية، وأبدوا استعدادًا للحوار معها والقبول بسلطتها.

وكانت الحرب الثانية في يناير ٢٠٠٥م، فقد استغلوا فرصة التهدئة في التقاط الأنفاس، والاستعداد مجددًا لجولة كانوا على يقين أنها قادمة، فبعد أن كانوا متمركزين في الحرب الأولى في جبل «قران»، توسعوا في الثانية إلى مناطق مديرية «حيدان» كافة.ثم تلتها الحرب الثالثة في مارس ٢٠٠٦م من مديرات مجاورة مثل «ساقين والمجز»، إضافة إلى حيدان حتى انتهت بوصولهم إلى محيط

مدينة صعدة، والسيطرة على كامل المحافظة، معتمدين على أساليب جمعت بين حرب العصابات، وامتصاص الضربات أثناء المواجهات، وبين النمو والسيطرة على مناطق جديدة، وتجنيد الأنصار للحوثيين أثناء الهدنة مع الجيش اليمني.

وجاءت الحرب الرابعة، والتي بدأت في يناير ٢٠٠٧م، ولم يستطع الحوثيون إخفاء رغبتهم في السيطرة على كامل محافظة صعدة، فاعتمدوا على أساليب الهجوم ضد قوات الجيش ومؤسسات الدولة في عاصمة المحافظة.

وفي فبراير عام ٢٠٠٨م بدأت الحرب الخامسة، والتي جاءت بمثابة إنذار أخير للحكم، فقد وضحت أهداف الحوثيين، كما لم تتضح من قبل؛ إذ ظهر أنهم يبحثون عن الحكم في صعدة، وإقامة حكم شيعي يخضع لولاية الفقيه!!

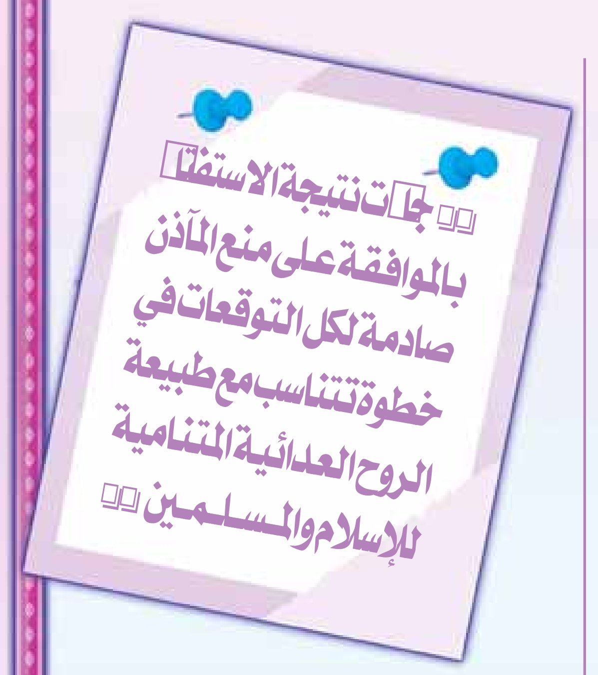
وفي الحرب السادسة والتي وقعت في أغسطس ٢٠٠٩م، كان الحوثيون قد توسعوا حتى وصلوا إلى محافظتي الجوف وهجة، وأداروا معارك مع قبائل الجوف للسيطرة على ميناء «ميدي» في البحر الأحمر، وإشعال الحرب في محافظات البيضاء وذمار، وأمانة العاصمة، وبعض أجزاء من الحديدة، أي أن أكثر من نصف مساحة البلاد قد دخلت تحت تمرد الحوثيين !!

ويعزى الكثير من هذه الانتصارات إلى تدخل بعض الأطراف الدولية الإقليمية؛ بقصد إبقاء الأوضاع في اليمن في حالة توتر مستمر، وإثارة القلاقل في جنوب المملكة العربية السعودية، وهو ما حدث مؤخرًا من خلال تسلل الحوثيين إلى الحدود السعودية، وقتل عدد من الضباط السعوديين !!

فالأمة بأسرها أمام تحدٍّ خطير قد يتسبب في أزمات عديدة داخل بلدان عربية أخرى، وهو ما يعني في حال تحقيقه نجاح مخطط تمزيق الأمة بحسب الخطط الأمريكية والغربية، والتي تُنَفَّذ هذه المرة بأيد إيرانية!!

العنصرية الغربية.. وبزوغ الكراهية على المآذن والمساجد

في عدد ذي الحجة وعلى صفحات مجلة التوحيد الشهرية، تناولنا محاولة أحزاب اليمين المتطرفة في سويسرا، والتي جمعت ١٠٠ ألف توقيع لسن قانون يحظر إقامة المآذن في سويسرا، وها هو الاستفتاء قد أُجري، وجاءت الموافقة على منع إقامة مآذن جديدة بسويسرا، دليلاً على العنصرية المنافية لمواثيق حقوق الإنسان والحرية الدينية التي يتشدق الغرب بها، ولحقت سويسرا بإيطاليا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا، وغيرها من الدول الأوروبية التي سَنَّت العديد من القوانين للحدّ من حريات المسلمين المقيمين بها.



فهذا هو لسان حال السويسريين الذي جاء صادمًا لكل التوقعات والتحليلات والاستطلاعات، عندما صوَّت بـ «نعم» لحظر المآذن في سويسرا – هذا البلد الصغير الذي يُعتبر في رأي الكثيرين حول العالم، جنّة الحرية والأمان والتسامح، وقبول الآخر، والتعايش المتعدد الأعراق – في خطوة تتناسب مع طبيعة الروح العدائية المتنامية للإسلام والمسلمين داخل القارة العجوز التي على ما يبدو لم تنسَ إرثها التاريخي الكبير من عداوة للعالم الإسلامي، وتكشف عن طبيعة الروح الأوروبية، وخبايا العقل العدائي لدى الأوروبيين، مع أن السمة الغالبة لمسلمي سويسرا، والبالغ عددهم ٤٠٠ ألف مسلم أغلبيتهم من البلقان مثل ألبانيا والبوسنة وكوسوفا، ونسبة من الأتراك، فالسمة الغالبة لمسلمي سويسرا أنهم ينحدرون من أصول بلقانية، فهم بالأساس أوروبيون. وفي هذا النطاق، فإننا نذكر بدور الكنيسة السويسرية في تأجيج المخاوف الشعبية من المدّ الإسلامي، وهي على علاقة قوية مع الكيان الصهيوني، وبينهما تنسيق كبير، ولعبت دورًا كبيرًا في ترجيح الكفة لصالح منع بناء المآذن.

فهل يليق بالمسلمين العرب أن يثقوا في هذا الكيان الهشّ الذي يحارب الإسلام وأهله، فيذهبون إليهم يهرولون؛ ليضعوا أموالهم في بنوكهم، والأَوْلى أن يستفيد المسلمون بهذه الأموال في بلادهم.

فاللهم انصر الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير



سورة يس

يقول الله تعالى: ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١٠)﴾ [يس: ١ - ١٠].

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

نائب الرئيس العام

انتهينا بفضل الله تبارك وتعالى من تفسير حزب المفصل، من: سورة ق، إلى سورة الناس، ونحن مع بداية العام الجديد نبدأ في باب التفسير في هذه المجلة المباركة بفضل الله، مجلة التوحيد، نبدأ في التفسير من أول سورة يس.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

بين يدي السورة

سورة يس سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين وأركان الإيمان، وقد ركزت السورة على الأصول الثلاثة التوحيد، والوحي والرسالة، والبعث بعد الموت.

واستُفتحت بالحديث عن الوحي والرسالة ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وخُتمت بالحديث عن الوحي والرسالة ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

ثم ضربت مثل أصحاب القرية، ضربت هذا المثل للمؤمنين بالرسل والمكذبيهم، ثم تحدثت عن التوحيد في قول مؤمن آل ياسين ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

وركزت أيضًا على الحديث عن الألوهية،

والعيْب على المشركين؛ لأنهم ألَّهوا غير الله، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ. لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾.

ثم ركزت على الأصل الثالث من أصول الدين، وهو البعث بعد الموت، وأطالت الحديث فيه، وذكرت دلائله وبراهينه، وخُتمت بالإنكار على الذين ينكرون البعث، ولفتت أنظارهم إلى دلائل قدرة الله على البعث.

وقد تعلقت بسورة يس بدعٌ وشركيات:

أما البدع فقد بُنِيَتْ على أحاديث ضعيفة، لا تصح عن النبي ﷺ، وهي قراءة سورة يس على الأموات ساعة الاحتضار، وعند الدفن، وبعد الدفن، وعند الزيارة وغير ذلك، وكل ذلك بُنِيَ على أحاديث لا تصح، منها: اقرؤوا يس على موتاكم. يس لما قُرئت له. لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس. إلى غير ذلك مما لم يثبت عن النبي ﷺ في فضائل سورة يس.

أما الشركيات التي تعلقت بسورة يس؛ فأبرزها ما كان مشتهرًا قديمًا بعِدِّيَّة يس، وهي أن يقرؤوا يس بصفة لم تثبت عن النبي ﷺ، حيث إنهم يقرؤونها، ويرددون آيات معينة منها كذا مرة، ثم يقرؤون الدعاء المعروف بعِدِّيَّة يس، وفيه من الشرك ما فيه، ومنه قولهم:

يا جيرة الحي أغيثوا فتًى
منكم، بكم يرجو بلوغ الأملا

وهذه استغاثة بالجن، واستعانة بالشياطين، وهذا شرك أكبر، لا يغفره الله سبحانه وتعالى.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿يس﴾ الياء والسين حرفان من الحروف المقطعة التي افتتح الله تبارك وتعالى بها سورًا من كتابه، وقد ذُكرت الياء في مطلع سورة مريم ﴿كهيعص﴾، وذُكرت السين في مطلع سورة النمل ﴿طس﴾.

فـ ﴿يس﴾ حرفان من الحروف المقطعة، والحرفان ليسا من أسماء النبي ﷺ؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، وَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ». [البخاري ٣٥٣٢، ومسلم ٢٣٥٤].

ولم يصح عنه ﷺ أنَّهُ ذكر من أسمائه يس، فـ ﴿يس﴾ و ﴿طه﴾ من الحروف المقطعة تساوي ﴿طس﴾؛ فكلها حروف مقطعة افتتح الله تعالى بها سورًا من كتابه، اختلف العلماء في المراد بها اختلافًا كثيرًا، والراجح-والله أعلم بأسرار كلامه- أَنَّ المراد بها هو الإشارة إلى أَنَّ هذا القرآن كلام رب العالمين، وليس كلام محمد ﷺ كما زعموا، والدليل على ذلك أنه مؤلَّف من هذه الحروف التي يتألف منها كلام العرب، ومحمد واحد من جنسهم، فلو كان أتى بهذا القرآن من عنده فلن يعجزوا مجتمعين أن يأتوا بمثل ما جاء به محمد، فإذا عجزوا كان محمدٌ أعجز، وثبت بذلك أَنْ القرآن كلام الله رب العالمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال بعض السلف: ما أقسم الله على نبوة نبي من أنبيائه إلا محمد ﷺ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٨-٢٩]، يؤكد هذا بالقسم.

والقسم العظيم بـ ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ الحكيم، أي: ذي الحكمة، أو الناطق بالحكمة، وهو اسم فاعل، أو اسم مفعول أي محكم، وهو حكيم ومحكم، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ﴾ يا نبينا ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فلستَ بدعًا من الرسل، وإنما أنت واحد من جملتهم، كما قال له جل وعلا: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا اعوجاج فيه.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ تنزيل: بالنصب على أنها مصدر، يقال: نزَّل يُنزِّل تنزيلاً، وبالرفع تنزيل: على أنها خبر لمبتدأ، تقديره هو. والقرآنِ الحكيمِ الذي هو تنزيلُ العزيز الرحيم سبحانه وتعالى.

وجَمَع بين العزة والرحمة؛ فهو يدعو الناس إلى الإيمان بهذا القرآن، وبهذا الرسول الذي أنزل عليه القرآن، بالترغيب والترهيب: آمنوا بالقرآن؛ لأنه تنزيل العزيز، فاحذروا أن تكفروا به، فيأخذكم أخذ عزيز مقتدر. وآمنوا بالقرآن؛ لأنه تنزيل الرحيم؛ ليدخلكم في رحمته.

﴿ لِتُنْذِرَ ﴾ اللامُ لام التعليل، لماذا أنزل الله تعالى على نبيه القرآن؟ ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾. والإنذار هو الإعلام المصحوب بالتخويف. والله تعالى أرسل رسوله بشيرًا ونذيرًا، ولكن القوم في أول الرسالة أحق بالنذارة، وليسوا أهلاً للبشارة.

﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا ﴾ أي تخوفهم عاقبة الكفر، وعاقبة الشرك الذي هم واقعون فيه، ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ ما أتى آباءَهم قبلك من نذير، وما أُنزل عليهم قبلك من كتاب، فلذلك هم قوم غافلون عن الحقيقة، غافلون عن التوحيد، غافلون عن الإيمان، غافلون عن القرآن.

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ﴾، والمراد بالحق ما بيَّنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]. وأما القول فيوضحه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، فلماذا حقَّ القول عليهم ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾؟ لأنهم حقت عليهم كلمة العذاب، فلذلك لا يؤمنون؛ لأنهم لو آمنوا لَنَجَوْا من العذاب، والله قدَّر عليهم العذاب في سابق علمه؛ ولذلك فهم لا يؤمنون؛ حتى يستحقوا العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ﴾ دلالة على أن الكفار أكثر من المؤمنين، وأن أهل النار أكثر من أهل الجنة، ويدلك على ذلك قول النبي ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا آدم؛ فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فينادى بصوت: «إنَّ اللهَ يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثًا إلى النار». قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعون» [البخاري ٣٣٤٨، ومسلم ٢٢٢].

> **من البدع التي تعلقت بسورة يس، قراءتها عند الاحتضار وعند الدفن وبعد الدفن وعند الزيارة وغير ذلك مما لم يثبت عن النبي ﷺ**

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ الأغلال جمع غُلّ، وهي قيود من حديد تُوضع في الأيدي، ثم توضع الأيدي في العنق، فُوضعت أيديهم المغلولة تحت أذقانهم، فجعلت رءوسهم إلى أعلى، يقال: أقمحت الدابة، إذا أخذت بلجامها فرفعت رأسها، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ ﴾ تحت أذقانهم، رافعة رءوسهم، فهم مقمحون، ومن رفع رأسه وهو يسير في الطريق فإنه لا يرى ما أمامه.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾، ومثل هذا كيف يرى آيات الله سبحانه وتعالى، ودلائل قدرته، وعجائب صنعه، حتى يستدل بها على أنه لا إله إلا الله، ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فدلائل التوحيد كثيرة، ولكن الله تعالى صرف قلوب القوم عنها، جزاءً وفاقًا، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [المنافقون: ٣]، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

> وأبرز الشركيات التي تعلقت بسورة يس ما كان مشتهراً بين الناس بعدية يس وما فيها من دعا عدية يس والتي احتوت على شركيات وخرافات واستغاثة بالجن والشياطين

يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، فصرفهم عن رؤية آيات الله ودلائل توحيده كان عقابًا من الله لهم؛ لأن الله تعالى وهبهم الحواسّ، ووهبهم العقل والسمع والبصر؛ حتى يتعرفوا بها على عجيب قدرة الله، فيشهدوا أنَّه لا إله إلا الله. ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فهذا هو اعتقاد أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾، أما الكفار فهم يظنون أن الله خلق الخلق بالباطل، فكذَّبهم الله فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

فإذا كانت هذه حالهم فـ ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ [البقرة: ٦]؛ لأن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، فمن يهديهم من بعد الله؟! ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ فلما أعرضوا عن آيات الله ونسوها، ونسوا ما قدمت أيديهم، عاقبهم ربهم ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾: الإنذار وعدمه عندهم سواء، التخويف وعدم التخويف عندهم سواء، قال تعالى: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠].

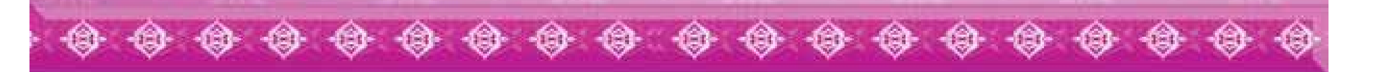
ولما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ. طَعَامُ الأَثِيمِ. كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، جاء أبو جهل -لعنه الله- وقال: يا معشر قريش! محمد يخوِّفكم بالزقوم، أتدرون ما الزقوم؟ إنه التمر والزبد، ودعا بالتمر والزبد، وأخذ يأكل، ويقول: هذا هو الزقوم. أوليس قد ختم الله على قلبه فلا يخاف؟!!

﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ أي: القرآن الحكيم، ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ دون أن يراه، يخاف من الله في سرِّه، كما يخاف من الله في علانيته؛ لأنه يراقب الله لا يراقب الناس، فالسر والعلانية عنده سواء، يترك في سره ما يترك في علانيته؛ لأن المؤمنين ليسوا منافقين، فالمنافقون ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨]، أما المؤمنون فإنهم يخشون ربهم بالغيب دون أن يروه، ويخشونه في سرهم وفي خلوتهم؛ لأنهم يعلمون أن الله سميع بصير، لطيف خبير.

﴿ فَبَشِّرْهُ ﴾ بشِّر الذي إذا ذُكِّر تذكَّر، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ لذنوبه ﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ على صالح أعماله، فالله يغفر لهم الزلات، ويثيبهم على الحسنات ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٠]، يغفر كثيرًا من الزلات، ويثيب على القليل بالحسنات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عمن تكون إمامته على خلاف الأوْلى، وقد تحدثنا في المقالة السابقة عن إمامة الأعمى، ونتناول الآن - بمشيئة الله - إمامة من كان حدثه مستمرًا.

٢- إمامة من كان حدثه مستمرًا

١- تعريفه:
من كان حدثه مستمرًا، أي يستمر معه الحدث بحيث لا يجد من الوقت ما يتوضأ فيه ويصلي، ويدخل تحته:

أ- المصاب بسلس البول:
وسلسل البول هو عدم القدرة على التحكم في البول وحبسه للوقت المناسب، وهو دخول الخلاء فهو نزول لا إرادي للبول، وهو يصيب النساء أكثر من الرجال؛ وذلك بسبب ضعف عضلات قاع الحوض لديهن؛ نتيجة للولادة المتكررة، والسلس نوعان:

١- السلس المرتبط بالمجهود: ويحصل عندما يقوم الشخص بمجهود جسدي، أو يعطس، أو يسعل؛ إذ عندها يرتفع الضغط فجأة عند أسفل البطن فتنزل قطرات البول بطريقة لا إرادية.

٢- السلس القهري: وعنده يشعر الشخص بحاجة ملحة جدًا إلى التبول، ولا يتمكن من الانتظار ولو قليلاً لكي يقضي حاجته فينزل البول وحده.

ب- المصاب بانفلات الريح:
الانفلات لغة: هو التخلص من الشيء فجأة من غير تمكث.
وشرعًا: هو استمرار خروج الريح وعدم التحكم فيه.

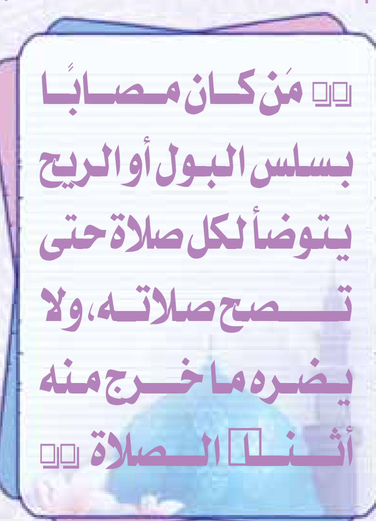
جـ- المرأة المستحاضة:
الاستحاضة: سيلان الدم في غير وقته على سبيل النزف، ويطلق على كل دم تراه المرأة غير دم الحيض والنفاس.

٢- من كان حدثه مستمرًا له حالتان:

الحالة الأولى: أن يكون نزول البول أو الدم أو خروج الريح مستمرًا بحيث لا يتوقف، وهو مجال بحثنا هذا.

الحالة الثانية: أن يتوقف البول أو الدم أو الريح بعد فترة، فهذا ينتظر حتى يتوقف نزول البول أو الدم أو خروج الريح، ثم يتوضأ ويصلي.

٣- حكم صلاة من كان حدثه مستمرًا:
من كان حدثه دائمًا مستمرًا يتوضأ لوقت كل صلاة حتى تصح صلاته، ولو خرج منه شيء بعد ذلك فلا شيء عليه.



الدليل على ذلك: عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي £، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ قال: «لا إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي». [البخاري ٢٢٨، ومسلم ٣٣٣].

وللبخاري: «ثم توضئي لكل صلاة» [البخاري ٢٢٨]. فقوله £: «ثم توضئي لكل صلاة» أي: تتوضأ لوقت كل صلاة؛ وذلك لأن الوضوء متعلق بالوقت، وهذا قول الحنفية والهادوية، وهو الصحيح بخلاف قول الجمهور أنها تتوضأ لكل صلاة؛ وذلك لأن الوضوء رفعُ حكم الحدث لأجل الصلاة، فإذا فرغت المستحاضة من الصلاة انتقض وضوؤها.

وحديث عائشة رضي الله عنها وغيره نص في حكم صلاة المستحاضة، أما المصاب بسلس البول وانفلات الريح، فليس فيه نص صريح، وإنما حكمهما حكم المستحاضة، قياسًا عليها؛ فقد ألحق الفقهاء حكمهما بحكمها؛ وذلك لوجود نفس العلة، وهي المشقة الشديدة في أداء العبادات مع استمرار وجود الحدث، فالمشقة تجلب التيسير، قال الله تعالى:



إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فمن كان حدثه دائمًا فعليه بالوضوء لكل وقت صلاة، ويصلي حتى ولو خرج منه ما ينقض وضوءه، وصلاته صحيحة، ولا يضره ما خرج منه.

٤- بطلان طهارة من كان حدثه مستمرًا:

قول الفقهاء يتوضأ لوقت كل صلاة مقيد بما إذا خرج منه شيء، فإذا لم يخرج منه شيء فلا وضوء عليه، قال البهوتي في الروض المربع: «والمستحاضة ونحوها ممن به سلس بول، أو مذي، أو ريح تتوضأ لدخول وقت كل صلاة، إن خرج شيء، وتصلي ما دام الوقت (فروضًا ونوافل)، فإن لم يخرج شيء لم يجب الوضوء». اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله- في الشرح الممتع: «يجب على المستحاضة أن تتوضأ لوقت كل صلاة إن خرج شيء فإن لم يخرج منها شيء بقيت على وضوئها الأول». اهـ.

ولكن اختلف الفقهاء فيما لو خرج شيء ينتقض به الوضوء، فهل تبطل الطهارة بخروج وقت الصلاة أم بدخول الوقت الآخر للصلاة؟ وهذا الخلاف تظهر ثمرته فيما إذا صلى من كان حدثه مستمرًا صلاة الفجر مع نزول البول، أو الدم، أو خروج الريح، فهل يجوز له أن يصلي بوضوئه هذا صلاة الضحى والعيدين أم لا؟ اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: أن الطهارة تبطل بخروج وقت الصلاة، ومن ثم فمن صلى الصبح، فقد بطلت طهارته بطلوع الشمس، ومن ثم فيمتنع عليه أن يصلي الضحى أو العيدين بذات الوضوء، وإنما يتوضأ من جديد.

الرأي الثاني: أن الطهارة تبطل بدخول الوقت الآخر، ومن ثَم فمن صلى الصبح يجوز له أن يصلي الضحى والعيدين بوضوء الصبح؛ لأن طهارته باقية إلى دخول وقت الظهر.

والأحوط أن يتوضأ للضحى والعيدين وضوءًا جديدًا، وبهذا أفتى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: «المريض المصاب بسلس البول، ولم يبرأ بمعالجته، عليه أن يتوضأ لكل صلاة بعد دخول وقتها، ويغسل ما يصيب بدنه، ويجعل للصلاة ثوبًا طاهرًا إن لم يشق عليه ذلك، وإلا عفي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [رواه مسلم بنحوه ١٣٣٧]. ويحتاط لنفسه احتياطًا يمنع انتشار البول في ثوبه، أو جسمه، أو مكان صلاته». اهـ.



وسُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء عن رجل تخرج منه غازات باستمرار فكيف يتوضأ ويصلي؟

فأجابت: «إذا كان حالك ما ذُكر، وأن الغازات مستمرة معك؛ فعليك الوضوء لكل صلاة بعد دخول الوقت، ولا يضرك ما يخرج منك بعد ذلك، وأما الجمعة فتوضأ لها قبل دخول الخطيب في الوقت الذي يمكنك من سماع الخطبة وأداء الصلاة».

٥- حكم الجمع بين الصلاتين:

إذا شق على من كان حدثه مستمرًا الوضوء وغسل الثياب لكل صلاة، فهل يجوز له الجمع بين صلاتي الظهر والعصر بوضوء واحد في وقت واحد، وكذلك الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء أم لا؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

قال الشافعي: «تتوضأ لكل صلاة فريضة، ولا تجمع بين فريضتين بطهارة واحدة، وتصلي مع الفريضة النوافل»، والمراد المستحاضة، ويلحق بها المريض



بسلس البول، وانفلات الريح، كما سبق بيانه.

ودليله: قوله £ في المستحاضة: «تدع الصلاة أيام أقرائها، ثم تغتسل وتصلي، وتتوضأ عند كل صلاة». [أبو داود ٢٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٩٧].

وقال أبو حنيفة وأحمد: «تجمع بين فريضتين في وقت واحد، وتبطل طهارتها بخروج وقت الصلاة».

ودليلهم: حديث فاطمة بنت أبي حبيش السابق.

والرأي الراجح: هو رأي أبي حنيفة وأحمد، فيجوز الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما بوضوء واحد، ويجوز صلاة الفرائض الفائتة مع الحاضرة بوضوء واحد في الوقت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: «ويجمع المريض والمستحاضة». اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع: «يجوز الجمع للمستحاضة بين الظهرين (الظهر والعصر) والعشائين (المغرب والعشاء)؛ لمشقة الوضوء عليهما لكل صلاة». اهـ.

كما أنه يجوز أداء النوافل مع الفرائض بوضوء واحد، وتجوز صلاة التراويح بوضوء العشاء، ولو امتدت صلاة التراويح إلى ما بعد نصف الليل. سُئل الشيخ ابن عثيمين في فتاوى الطهارة: «هل يجوز للمرأة المستحاضة أن تصلي قيام الليل إذا انقضى نصف الليل بوضوء العشاء؟» فأجاب رحمه الله: «هذه المسألة محل خلاف؛ فذهب بعض أهل العلم إلى أنه إذا انقضى نصف الليل وجب عليها أن تجدد الوضوء، وقيل: لا يلزمها أن تجدد الوضوء، وهو الراجح». اهـ.

٦- حكم إمامة من كان حدثه مستمرًا:

لا خلاف بين أهل العلم في صحة صلاة من كان حدثه مستمراً لنفسه منفردًا، وصحة صلاته مؤتمًا بصحيح، وكذا صحة إمامته لمثله، ولكن اختلفوا في حكم إمامته للصحيح، وذلك على قولين:

القول الأول: لا تصح إمامته للصحيح:

وهو قول الحنفية والحنابلة. قال ابن قدامة في الكافي: «والمستحاضة، ومن به سلس البول وأشباههم تصح صلاتهم في أنفسهم وبمن حاله كحالهم، ولا تصح لغيرهم؛ لأنهم أخلوا بفرض الصلاة، فأشبه المضطجع يؤم القائم». وقال البهوتي: «ولا تصح الصلاة خلف من به سلس بول ونحوه، كبخر وريح ورعاف لا يرقأ دمه، وجروح سيالة إلا بمثله، لأن في صلاته خللاً غير مجبور ببدل؛ لكونه يصلي مع خروج النجاسة التي يحصل بها الحدث من غير طهارة أشبه ما لو ائتم بمحدث يعلم حدثه». اهـ.

ولأن صاحب السلس طهارته غير كاملة، وإن كان معذوراً في نفسه، إلا أن طهارته طهارة ضرورية، وإنما صحت صلاته في نفسه للضرورة.

القول الثاني: وهو قول المالكية والشافعية: تصح إمامته للصحيح:

قال النووي: يجوز اقتداء السليم بسلس البول، والطاهرة بالمستحاضة غير المتميزة على الأصح. [اهـ من روضة الطالبين]. وأجاز المالكية اقتداء السليم بمن به سلس بول مع الكراهة، وذلك كله للآتي:

١- لأن من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره.

٢- ما دام النقص في الطهارة معفواً عنه فكأن هذا النقص غير موجود.

٣- لعموم قوله £ : «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» [مسلم ٦٧٣]. ولم يستثنِ £ مَن به سلس البول، أو انفلات الريح.

الرأي الراجح:

هو الرأي الثاني القائل بالصحة، ولكن قلنا بأن إمامته لغيره من الأصحاء على خلاف الأولى، خروجًا من الخلاف، وهذا ما ذهبت إليه اللجنة الدائمة للإفتاء حينما سُئلت عن حكم إمامة من به سلس بول؟ فقالت: «من به سلس بول أو نحوه صلاته في نفسه صحيحة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول النبي £ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [رواه مسلم بنحوه ١٣٣٧]، وفي صحة صلاة من ائتم به من الأصحاء خلاف، والراجح الصحة، لكن الأولى أن يؤمَّ الناسَ غيرُه من الأصحاء؛ خروجًا من الخلاف. [الفتوى رقم ٤٩٩٥ ج٧ ص٣٦٢، ٣٩٣].

والله الموفق.

تنبيه

سوف تجرى - إن شاء الله تعالى - مسابقة القرآن الكريم اعتباراً من يوم السبت ١٧ / ٤ / ٢٠١٠م، وتبدأ من المستوى الأول وهو حفظ القرآن الكريم مجوداً مع تفسير سورة الأحزاب، وسوف يعلن عن تفاصيل المسابقة في العدد القادم بحول الله وقوته.



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد بينا في أعداد سابقة في معرض حديثنا عن حديث الشفاعة، الكلام عن الشفاعة وعن عصمة الأنبياء، وبينا أن الخطايا التي نُسبت إليهم لا تتنافى مع عصمتهم، وفي العدد الماضي بدأنا الحديث عن صفات الله تعالى التي وردت في الحديث؛ فتكلمنا عن إثبات اليدين لله عز وجل، وفي هذا العدد نتكلم عن إثبات الكلام لربنا سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث من قول إبراهيم عليه السلام: «ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا». وفي رواية: «وقربه نجيًا».

بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه أبوابًا لإثبات كلام الله تعالى هي: باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الباب ٣٧ من كتاب التوحيد]، أورد فيه ثلاثة أحاديث أولها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٧٥١٥): «احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلق. فحجَّ آدمُ موسى». وقد أخرجه الإمام مسلم برقم (٢٦٥٢). وثانيها حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، وهو حديثنا الذي نحن بصدد شرحه، أورده هنا مختصرًا برقم (٧٥١٦) وهو مخرَّج في مسلم برقم (١٩٣). وثالثها حديث أنس رضي الله عنه - أيضًا - في إسراء رسول الله £ ومعراجه برقم (٧٥١٧) وهو حديث طويل والشاهد منه قوله: «وموسى في السابعة - أي في السماء السابعة - بتفضيل كلام الله». وهو في مسلم برقم (١٦٢).

وقبل هذا الباب بوَّب «كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم» أورد فيه حديث أنس في الشفاعة مختصرًا مطولاً برقمين وهو في مسلم (١٩٣)، وحديث عبد الله قال: «إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجًا من النار رجل يخرج حبوًا، فيقول له ربه: ادخل الجنة، فيقول: ربِّ الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يعيد عليه، الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات». برقم (٧٥١١)، وهو في مسلم (١٨٦).

وحديث عدي بن حاتم قال رسول الله £: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان..» برقم (٧٥١٢)، وهو في مسلم برقم (١٠١٦)، وحديث عبد الله بن مسعود: «جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك..» الحديث، برقم (٧٥١٣)، وهو في مسلم برقم (٢٧٨٦).

وحديث ابن عمر أن رجلاً سأله: كيف سمعت رسول الله £ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» برقم (٧٥١٤) وهو في مسلم برقم (٢٧٦٨).

وقبل هذا الباب بوَّب رحمه الله تعالى «باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾. أورد فيه ثمانية عشر حديثًا.

١- حديث (٧٤٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي £: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». وهو في مسلم برقم (٢٢٤٢).

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٧٤٩٢) عن النبي £ : يقول الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به..» الحديث. وهو في مسلم برقم (١١٥١).

٣- حديث (٧٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي £ قال: «بينما أيوب يغتسل عريانًا خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه، يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك».

٤- حديث أبي هريرة أيضًا (٧٤٩٤) أن رسول الله £ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». وهو في مسلم برقم (٧٥٨).

٥- حديث أبي هريرة كذلك (٧٤٩٦) قال: قال الله تعالى: «أنفق؛ أنفق عليك». وهو في مسلم برقم (٩٩٣).

٦- حديثه أيضًا (٧٤٩٨) عن النبي £ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». وهو في مسلم برقم (٢٨٢٤).

٧- حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٧٥٠٠) حين قال لها أهل الإفك ما قالوا؛ فبرأها الله مما قالوا، قالت: «ولكن والله ما كنت أظن أن الله يُنزل في براءتي وحيًا يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى...» الحديث. وهو في مسلم برقم (٢٧٧٠).

٨- حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٧٥٠١) أن رسول الله £ قال: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها...» الحديث. وهو في مسلم برقم (١٢٨).

٩- حديثه أيضًا رضي الله عنه برقم (٧٥٠٢) أن رسول الله £ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك». وهو في مسلم برقم (٢٥٥٤).

١٠- حديث زيد بن خالد الجهني برقم (٧٥٠٣) قال: مُطِرَ النبي £ فقال: «قال الله: أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن». وهو في مسلم برقم (٧١).

١١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٧٥٠٤) أن رسول الله £ قال: «قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه». وهو في مسلم برقم (٢٦٨٥).

١٢- حديثه أيضًا برقم (٧٥٠٥) أن رسول الله £ قال: «قال الله: أنا عند ظن عبدي بي». وهو في مسلم برقم (٢٦٧٥).

١٣- حديثه كذلك برقم (٧٥٠٦) أن رسول الله £ قال: قال رجل - لم يعمل خيرًا قط - فإذا مات فحرقوه وأذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له». وهو في مسلم برقم (٢٧٥٦).

١٤- حديث أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه برقم (٧٥٠٧) قال: سمعت النبي £ قال: «إن عبدًا أصاب ذنبًا - وربما قال: أذنب ذنبًا، فقال: رب أذنبت ذنبًا، وربما قال: أصبت فاغفر، فقال ربه: أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي...» الحديث، وهو في مسلم برقم (٢٧٥٨).

١٥- حديث أبي سعيد رضي الله عنه برقم (٧٥٠٨) بمعنى حديث أبي هريرة في الرجل الذي أوصى بنيه بحرقه وتذريته بعد موته.

وقبل هذا الباب بوب الإمام البخاري - رحمه الله - أيضًا باب (كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة).

وأورد فيه ثلاثة أحاديث منها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٧٤٨٥) قال: قال رسول الله £ : «إن الله تعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريلَ: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض». وهو في مسلم برقم (٢٦٣٧).

٢- حديثه أيضًا رضي الله عنه برقم (٧٤٨٦) أن رسول الله £ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». وهو في مسلم برقم (٦٣٢).

وهذه الأحاديث وغيرها فيها إثبات الكلام لرب العالمين سبحانه وتعالى. والقرآن الكريم فيه آيات كثيرة لإثبات صفة الكلام لله تعالى.

اختلاف الفرق في مسألة كلام الله عز وجل

قال شارح العقيدة الطحاوية: وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

الصحيح منها القول التاسع وهو:

أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ [الأعراف: ١٤٧]، فكان عُبَّاد العجل - مع كفرهم - أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضًا، وقال تعالى عن العجل أيضًا: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يُستدل به على عدم ألوهية العجل. اهـ.

قال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله تعالى - في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: باب ذكر تكليم الله كليمه موسى خصوصية خصه الله بها من بين الرسل، وذكر تحت هذا الباب أفرعًا، منها: ذكر آي مجملة غير مفسرة فسرتها آيات مفسرات.

وقال - رحمه الله - نبدأ بذكر الآي المجملة ثم نثني بعون الله وتوفيقه بالآيات المفسرات.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ الآية، فأجمل الله تعالى ذكر من كلمه في هذه الآية فلم يذكره باسم ولا نسب ولا صفة، وكذلك أجمل الجهات التي كلمه الله عليها في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، ثم بين الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أن موسى ﷺ هو الذي كلمه ربه تكليمًا، فبين لعباده المؤمنين في هذه الآية ما أجمله في قوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، مفسر لما أبهم في الآية الأولى، وأَعْلَمَ في آية أخرى أنه سبحانه اصطفى موسى برسالته وبكلامه، فقال عز وجل: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾، وبين في آي أخر بعض كلامه الذي كلم به موسى، فقال في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ إلى آخر القصة، وقال في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إلى قوله: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى آخر القصة.

فبين الله تعالى في الآي الثلاث بعض ما كلم الله به موسى مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب ولا ملك غير مقرب، غير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسى فيقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أو يقول: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، ثم بدأ يسوق بعض الأحاديث التي سقناها فيما سبق وأخرجها الشيخان.

قال الشيخ محمد خليل هراس في تعليقه على هذه الفقرة من كلام الإمام ابن خزيمة: «اتفق القوم على أنه تعالى متكلم، ولكنهم اختلفوا - بعد ذلك - فقالت المعتزلة: معنى كونه متكلمًا أنه خالق الكلام في غيره، فخالفوا اللغة والعقل، وقالت الكُلابية والأشعرية: إن كلامه معانٍ قديمه قائمة بذاته ليست بحرف ولا صوت، وابتدعوا الكلام النفسي، وقال سلف هذه الأمة: إن كلامه تعالى صفة فعل له سبحانه يتكلم بها متى شاء وكيف شاء، وإن كلامه حروف وأصوات يسمعها من يشاء من خلقه، وإن صوته سبحانه بالكلام ليس كصوت المخلوقين، وكلامه سبحانه متعلق بمشيئته واختياره، يتكلم متى شاء وكيف شاء سبحانه وتعالى.

وقال الحافظ في الفتح عند الترجمة التي ترجم بها الإمام البخاري «باب ما جاء في قوله عز وجل: وكلم الله موسى تكليمًا». قال: قال الأئمة: هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة، قال النحاس: أجمع النحويون على أن الفعل إذا أُكِّد بالمصدر لم يكن مجازًا، فإذا قال: «تكليمًا» وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة التي تُعقل، قال الحافظ: وأجاب بعضهم بأنه كلام على الحقيقة لكن محل الخلاف: هل سمعه موسى من الله تعالى حقيقة أو من الشجرة؟ فالتأكيد رفع المجاز عن كونه غير كلام، أما المتكلم به فمسكوت عنه، ورُدَّ بأنه لا بد من مراعاة المحدَّث عنه، فهو لرفع المجاز عن النسبة؛ لأنه قد نسب الكلام إلى الله تعالى فهو المتكلم حقيقة، ويؤكده قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾، ثم نقل كلامًا لبعض أئمة الأشاعرة، إلى أن قال: وأورد البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» أن خالد بن عبد الله القَسْري قال: إني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم؛ فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، وأورد الحافظ أيضًا قول العلماء أن

سَلْمَ بن أجوز قتل جهم بن صفوان لأنه أنكر أن الله كلم موسى تكليمًا.

وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم، فيقال لهم: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم؛ لأنهم يتوهمون أن كلامه سبحانه يستلزم أدوات الكلام من لسان وفم وأسنان وحلق إلى غير ذلك. وهذا من تشبيه الخالق بالمخلوق وقياسه عليه، مع أن بعض المخلوقات أثبت الله تعالى أنها تتكلم وليس لها لسان ولا فم ولا أسنان ولا هذه الأدوات، وهي مخلوقة ونحن لا نعرف كيفية كلامها، فهذه مخلوقات.. فما بالك بالخالق جل وعلا، فهو يتكلم سبحانه بكلام يُسمع ويُعلم ويُعرف، لكن نفوض كيفيته إلى الله سبحانه وتعالى.

كلام بعض المخلوقات مما لا نعرف كيفية كلامها

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٢- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٣- وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم، وكذلك ما ثبت في السنة المطهرة من تسبيح الحصا والطعام وسلام الحجر إلى غير ذلك.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس الله قال للسماوات والأرض ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، أتراها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟! وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾، أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟! والجوارح إذا شهدت على الكفار، فقالوا لجوارحهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أتراها نطقت بجوف وفم ولسان؟. انتهى من كتاب الرد على الزنادقة والجهمية (ص٤٤، ٤٥).

والجواب عن التساؤلات التي أوردها الإمام أحمد هو - لا، ولا جواب غيره، ونزيد فنقول: فهل الذي جعل هذه الجمادات تتكلم ومكّنها من ذلك يعجز عن الكلام أو يمتنع عليه الكلام؟ كما زعمت الجهمية. لماذا يمتنع عليه؟ هل الكلام نقص؟ أليس المخلوق المتكلم أكمل من غير المتكلم؟ الجواب (بلى) بإجماع العقلاء، فهل تسوغ عقول الجهمية أن يكون المخلوق أكمل من الخالق؟!

استعاذة النبي ﷺ بكلمات الله

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة، وهو يحاور الجهمية ليثبت أن كلام الله على تعدده وتنوعه غير مخلوق: «قد استعاذ النبي ﷺ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وعلَّم أمته تلك الاستعاذة، وهي الالتجاء إلى الله من شر خلقه، فهي عبادة عظيمة، فلو كانت كلمات الله مخلوقة لما استعاذ بها ﷺ، ولما علَّم أمته الاستعاذة بها؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ينهى عن ذلك، بل يعده نوعًا من الشرك».

ما يستفاد من هذه الاستعاذة

١- جواز الاستعاذة بأسماء الله وصفاته مثل ما يُستعاذ بذاته، قال ﷺ في دعائه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناءً عليك..». [مسلم ٤٨٦].

٢- أن كلمات الله ليست مخلوقة؛ لأنها لو كانت مخلوقة ما استعاذ بها النبي ﷺ.

٣- أن كلمات الله لا حدّ لها؛ لأنها من كمالات الله تبارك وتعالى، وكمالاته سبحانه لا تنتهي، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

والكلام في صفة الكلام يطول، ونكتفي بهذا القدر، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية، وأما من انحرفت فطرته وانتكس قلبه فلا يكفيه لا هذا ولا أضعافه، كيف ونصوص الكتاب والسنة متضافرة متوافرة على إثبات الكلام لله رب العالمين، ولكن ماذا نقول لمن يقول: إن الله خلق كلامه في الشجرة فقالت لموسى: إني أنا ربك، وقالت له: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، أو خلق كلامه في النار فخاطبت موسى عليه السلام بهذا الخطاب، كل ذلك ليهرب من إثبات الكلام لله، ومن أعجب ما روي عن بعض المعتزلة أنه قال لأبي عمرو بن العلاء البصري - أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ وكلم الله موسى تكليمًا بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله. فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟ فبُهت المعتزلي.

نعوذ بالله تعالى من الخذلان، ونسأله الثبات على دينه والدوام على الحق حتى نلقاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢١٠٩- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: يَا أَبَا هُرَيْرَة، أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسولِ اللَّهِ £ ، وَأَحْفَظَنَا لِحَدِيثِه. رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢١١٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه وَنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ £ ، قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِنْ شَرِبَ فَاقْتُلُوهُ». رواه الإمام النسائي، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١١١- عَنْ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ £ ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا وَضَعَ، اللَّهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا رَفَعَ، ثُمَّ يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ يَمِينِه، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ». رواه الإمام النسائي، وهو حديث صحيح، على شرط البخاري.

٢١١٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ £ عَنِ الْجَلاَّلَةِ فِي الْإِبِلِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا، أَوْ يُشْرَبَ مِنْ أَلْبَانِهَا. وفي رِوَايَةٍ لَهُ: نَهَى عَنْ رُكُوبِ الْجَلاَلَةِ. رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢١١٣- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ كَانَ، يَقُولُ: «إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط البخاري.

٢١١٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ». رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١١٥- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا». رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١١٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١١٧- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ £ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١١٨- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: «تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلاَلَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ». رواه أبو داود، وهذا حديث حسن على شرط مسلم.

١١١٩- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ £ قَالَ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ». رواه النسائي، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٢٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «الْوَزْنُ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٢١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: «مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلْيَكُنْ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ إِلاَّ الْحُيَّضَ»، وَرَخَّصَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ £ . رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٢٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». رواه ابن ماجه، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٢٣- عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: أُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقِيلَ: هَذَا فُلاَنٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ عَبْدُ

اللَّهِ: «إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٢٤- عَنْ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ ، قَالَ: «صَلاَةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلاَتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهَا فِي بَيْتِهَا». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٢٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ £ «يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ»، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ. رواه الترمذي، وهذا حديث على شرط الشيخين.

١١٢٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِنَّ الْإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح رجاله رجال الشيخين.

١١٢٧- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ ، قَالَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ». رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٢٨- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ». رواه النسائي، وقال شيخنا: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٢٩- عَنْ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي». رواه الترمذي، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٣٠- عَنْ ابْنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ £ قَالَ: «الرِّبَا ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا». رواه ابن ماجه، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٣١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ £ : إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ». رواه أبو داود، وهذا صحيح على شرط الشيخين.

١١٣٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لَوْلاَ أَنَّ الْكِلاَبَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ». رواه الترمذي.

١١٣٣- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، قَالَ: «أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لاَ يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١١٣٤- عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلاَمِ وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ». رواه أبو داود، وهذا صحيح على شرط مسلم.

١١٣٥- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لاَ تُجْزِئُ صَلاَةُ الرَّجُلِ حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ». رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط البخاري والترمذي، وهو بسنده على شرط الشيخين.

١١٣٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ، وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ، وَيَظْهَرَ الْعِلْمُ، وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ، فَيَقُولَ: لاَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلاَنٍ، وَيُلْتَمَسَ فِي الْحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فَلاَ يُوجَدُ». رواه النسائي، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

١١٣٧- عَنْ أَبِي مُرَّةَ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَلَى أَبِيهِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَرَّبَ إِلَيْهِمَا طَعَامًا، فَقَالَ: «كُلْ فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ فَقَالَ عَمْرٌو: كُلْ، فَهَذِهِ الأَيَّامُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ £ يَأْمُرُنَا بِإِفْطَارِهَا وَيَنْهَانَا عَنْ صِيَامِهَا قَالَ مَالِكٌ: وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ».

رواه أبو داود، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأبو مرة اسمه يزيد.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة الأولى عن مفهوم الزيارة، وآداب زيارة مسجد الرسول ﷺ، وفي الحلقة الثانية تحدثنا عن آداب الضيافة:

أ- إكرام الضيف في الجاهلية.

ب- إكرام الضيف في الإسلام.

وفي هذا العدد نكمل الحديث عن:

جـ- أحكام الضيافة:

فنقول وبالله التوفيق: الضيافة من مكارم الأخلاق، وقد اهتم الإسلام بها، ورفع من شأنها، وأجمع المسلمون على مشروعية الضيافة، وأنها من محاسن الأعمال التي حثّ عليها الإسلام؛ لأنها تحسِّن الصلات بين الخلق.

وحكم الضيافة عند جمهور العلماء أنها سُنّة، وبذلك قال أبو حنيفة ومالك والشافعي، فإذا استضاف مسلمٌ لا اضطرار به مسلمًا استحب له ضيافته ولا تجب، واحتج الجمهور بقول الرسول ﷺ: «فليكرم ضيفه» [البخاري ٦١٣٥]. والكرامة من خصائص الندب دون الوجوب.

وقال الليث بن سعد وأحمد بن حنبل: هي واجبة يومًا وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن.

واحتجا بحديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». [البخاري ٦١٣٥].

قال الإمام أحمد: «وَالضِّيَافَةُ عَلَى كُلِّ الْمُسْلِمِينَ، كُلُّ مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ ضَيْفٌ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُضِيفَهُ. قِيلَ: إِنْ ضَافَ الرَّجُلَ ضَيْفٌ كَافِرٌ يُضِيفُهُ؟ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» [أبو داود ٣٧٥٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٤٧٠]. وَهَذَا الْحَدِيثُ بَيِّنٌ، وَلَمَّا أَضَافَ الْمُشْرِكَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ وَالْمُشْرِكَ يُضَافُ، وَأَنَا أَرَاهُ كَذَلِكَ». [اهـ. من الآداب الإسلامية لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين].

اليوم والليلة حق واجب، والكمال ثلاثة أيام.

ومن امتنع من إضافته فللضيف أن يأخذ بقدر إضافته، قال الإمام أحمد: له أن يطالبه بحقه الذي جعله له النبي ﷺ، يقول: هذا حقي الليلة، فيجوز أن يأخذ منه ثمن الضيافة التي منعوها إياه. قال الإمام أحمد: ولا يأخذ شيئًا إلا بعلم أهله. واستدل بقول رَسُول اللَّه ﷺ: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ» [البخاري ٦١٣٧، ومسلم ١٧٢٧]. [المرجع السابق].

والوجوب على أهل الطرق والقرى التي يمر بها الناس في طرق السفر، وهذا ينطبق على أصحاب المحطات والاستراحات بخلاف المدن، فإن المسافر إذا قدم الحضر وجد منزلاً -وهو الفندق-، ويجد الطعام، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

ولعظم أهمية إكرام الضيف؛ فقد أباح بعض أهل العلم الاستدانة من أجل إكرام الضيف. قال الإمام السرخسي -وهو من علماء الحنفية-: «إنَّ من استدان لقرى الضيف، فهو كمن استدان له، ولمصلحة نفسه، حتى قالوا: يُعطَى من سهم الغارمين».

وذكر العز بن عبد السلام -في قواعد الأحكام- في أسباب تحريم اقتناء الكلاب: قال: إنها تروِّع الضيف وابن السبيل.

وقد رخَّص النبي ﷺ في اتخاذ فراش خاص للضيف، ولم يعده إسرافًا، فقال النبي ﷺ: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ

للشَّيْطَانِ». [مسلم ٢٠٨٤].

د- آداب الضيافة:

لقد امتدح الله عز وجل خليله إبراهيم لقيامه بآداب الضيافة خير قيام؛ فقال الله عز وجل لحبيبه محمد £ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

ففي الآيات عدة وقفات، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله:

١- أنه وصف ضيوفه بأنهم مكرمون، وهذا من إكرام الله تعالى لهم، وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم، ولا تنافي بين القولين، وكلاهما صحيح.

٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليل على أنه عليه السلام كان معروفًا بإكرام الضيفان.

٣- «سلامٌ» بالرفع، وهم سلّموا عليه بالنصب «سلامًا»، والسلام بالرفع أكمل لماذا؟ لأن سلامًا جاءت مفعولاً لفعل محذوف تقديره نسلم سلامًا. لكن سلامٌ بالرفع مبتدأ. والجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام، خلافًا للجملة الفعلية، فقد حياهم بتحية أحسن من تحيتهم.

٤- ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ والرواغ هو الذهاب خُفية حتى لا يشعر به الضَيف، وهذا من أبلغ الكرم، فلا يشعر الضيف إلا والطعام أمامه، وفي ذلك حفظ لمشاعره.

٥- أن إبراهيم عليه السلام ذهب إلى أهله مباشرة ليعد لضيفه الطعام، فلم يذهب إلى الجيران ليستعير منهم، أو إلى السوق ليشتري، بل كان في استعداد دائم للضيوف، وهذا من أبلغ الكرم.

٦- ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ﴾ عطف الفعل «فجاء» على «فراغ» بالفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب، وهذا يدل على السرعة في إحضار الطعام، وعدم التباطؤ، وعدم التكاسل، فلم يقل: «ثم جاء».

٧- ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ يدل على بالغ كرمه؛ لأنه هو الذي جاء بالعجل بنفسه عليه السلام، ليس الخادم، ولا الطباخ، وإنما جاء به بنفسه، وهذا أبلغ في الإكرام، ونلاحظ أنه أتى به كاملاً، ولم يأت ببعضه، كالفخذ أو الكتف مثلاً، وإنما قدمه إليهم كاملاً.

٨- أنه قرب العجل إليهم، ولم يقربهم هم إليه، وهذا أبلغ في الإكرام، وهي أن تُجلس الضيف، ثم تأتي بالطعام إليه، لا أن تضع الطعام في ناحية، ثم تأمره أن يأتي إليه.

وقد أصبح هذا الوضع في عصرنا متعسرًا، فربما يكون هناك حجرة معينة كما هي عند أغلب الناس للطعام أو السفرة، فيضع الطعام على السفرة، ثم يقول لهم: هيا ننتقل إليه.. وهذا لا ينافي الإكرام، فكلّ على حسب عادته.

٩- «ألا تأكلون» فقد استخدم إبراهيم عليه السلام أسلوب العرض والحث، فهذا أفضل من أن يقول لهم: كلوا.. مدُّوا أيديكم. ومن المعلوم أن تقديم الطعام للضيف هو إذن له بالأكل، لكنه لما رآهم لا يأكلون، قال لهم: ألا تأكلون؟!

وهكذا جمعت الآيات أشرف وأعظم آداب الضيافة.

ومن آداب الضيافة التي ذكرها العلماء كذلك:

١٠- فتح الباب قبل وصول الضيف:

قال تعالى مبينًا عاقبة الذين اتقوا ربهم؛ حيث أكرمهم بدار ضيافته العظمى، وهي الجنة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، أي: وقد فتحت أبوابها. لكن أبواب جهنم -نعوذ بالله- لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، لكن أبواب الجنة متقدم فتحها؛ بدليل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥]؛ وذلك لأن تقديم فتح الباب للضيف قبل وصوله إكرام له.

٢- إيثار الضيف وتفضيله:

امتدح الله الأنصار بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلا مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ

لقد أباح بعض أهل العلم الاستدانة من أجل إكرام الضيف، وقد رخص النبي £ في اتخاذ فراش خاص بالضيف ولم يعده إسرافًا

رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا، وَأَكَلَ الضَّيْفُ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ –وفي رواية ضحك الله– مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ، وأنزل الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. [مسلم ٢٠٥٤]

وإذا ضحك الله إلى عبد فلا عذاب عليه، وذلك دليل رضاه عنه. وهذا عملٌ أُخفِي في الليل فأظهره الله في الصباح، وأنزل الوحي به على نبيه ﷺ، وأهل الإخلاص إذا أخفوا أعمالهم فالله يكشفها ليكونوا قدوة ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

هل رأينا صورة من صور الإيثار أعظم من هذه؟! من هؤلاء؟ ومن رباهم؟ وفي أي المدارس تخرجوا؟!!

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، مرني بعمل أدخل به الجنة؟ فقال: «عليك بالصوم، فإنه لا مثْل له» [صحيح الجامع: ٤٠٤٤]. يعني في الأجر لا مثل له. قال الراوي: فكان أبو أمامة لا يُرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل به ضيف، فيرى الدخان نهارًا».

فلا بأس أن يفطر الإنسان من أجل الضيف إذا كان صائمًا صومًا مستحبًا إذا كان يشق على الضيف أن يبقى صاحب البيت صائمًا، وفي ذلك آثار منها:

قال عطاء: سألت سلمان بن موسى: أكان يفطر الرجل لضيفه؟ قال: نعم.

وقال الحسن: كان يرخص للرجل الصائم إذا نزل به الضيف أن يفطر ويقضي يومًا مكانه.

وقال الإمام النووي: «إذا دخل في صوم تطوع، استُحِبّ له إتمامه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]. ولكن إذا شق على ضيفه صومه، فيستحب له أن يفطر، فيأكل معه؛ لقوله ﷺ: «وإن لزورك عليك حقًا» [البخاري ١٩٧٤، ومسلم ١١٥٩]. يعني: لزوارك. ولقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». [البخاري ٦١٣٥]

أما إذا لم يشق على ضيفه صومه التطوع فالأفضل بقاؤه على الصيام، ولقد نص العلماء على جواز الأكل فوق الحاجة من أجل الضيف، مع أن الأكل فوق الحاجة مكروه، إلا إذا عَرض له غرض صحيح، وقد ذكر العلماء لذلك مثالين:

أ- أن يزداد في الأكل استعدادًا لصيام غدٍ، وهو يوم طويل حارّ.

ب- أن يأتيه ضيف فيأكل الضيف ويأكل معه حتى بعد الشبع، من أجل ألا يحْرج الضيف؛ لأنه إذا توقف صاحب البيت فربما توقف الضيف، وقد يكون الضيف بحاجة للطعام، أو فيه جوع، أو أن بدنه أو جسده أعظم أو أكبر، وذلك نحيل لا يحتاج إلى طعامٍ كثير، فيجوز له أن يزيد عن الشبع لأجل إكرام الضيف.

٤- إباحة السمر بعد العشاء مع الضيف، رغم كراهة الكلام بعد العشاء، إذ ورد في السنة النهي عن النوم قبل العشاء والكلام بعدها –بعد العشاء– إلا لمصلٍ، أو مسافر، أو لأجل الترويح عن الضيف من عناء السفر. والمباسطة جزء كبير من الإكرام، لكن السمر في الغيبة والنميمة حرام، والسمر بسماع الأفلام والمسلسلات والمسرحيات الخليعة لا يجوز.

٥- أن يظهر لضيوفه البشر وبسط الوجه:

ولهذا قالت العرب: تمام الضيافة: الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة.

قال الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرَى
فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك؟!

٦- أن يحدِّث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبشّ عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وألا يحدِّث بما يروعهم به، وينبغي للمُضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن، ولا يغضب على أحد بحضورهم، ولا ينغّص عيشهم بما يكرهون، ولا يعبس بوجهه، ولا يُظهر نكدًا، ولا ينهر أحدًا، ولا يشتمه، بل يُدخِل عليهم السرور بكل ما أمكن.

ومع بقية الآداب نلتقي في العدد القادم إن شاء الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿ ضحك الله إلى كرم رجل أضاف ضيفاً، وإذا ضحك الله إلى عبد فلا عذاب عليه، وذلك دليل رضاه عنه ﴾



مبادئ الاقتصاد الإسلامي وخصائصه

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد أصبح الاقتصاد من أهم العلوم التي يعتني بها الباحثون شرقًا وغربًا لما له من أثر واضح في الحياة المعاصرة، وفي ظل المستجدات على الساحة، وحاجة الناس لتأصيل المعاملات المالية المستحدثة، وما يشغل الناس تجاه تلك الأمور.

وبداية من هذا العدد نتناول - بمشيئة الله تعالى - مبادئ الاقتصاد الإسلامي وخصائصه من خلال الكتاب والسنة، ومفهوم الربا المحرم. فنقول وبالله التوفيق:

خصائص الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد الإسلامي: هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي وينظمه وفقًا لأصول الإسلام ومبادئه الاقتصادية.

إن الاقتصاد الإسلامي كأحد فروع الشريعة الإسلامية يتسم بتلك الخصائص التي تتسم بها تلك الشريعة وتميزها عن غيرها من الشرائع الوضعية وهي:

أولاً: ربانية المصدر

الخصيصة الأولى للاقتصاد الإسلامي أنه رباني المصدر ؛ فليس هو الاقتصاد الذي قال به أفلاطون أو أرسطو، وليس اقتصاد التجاريين أو الطبيعيين، أو الكلاسيكيين أو الماركسيين، وإنما هو جزء من الإسلام، فمصدره إلهي، مستمد من كتاب الله، وسنة نبيه £ .

ومعنى هذا أن الاقتصاد الإسلامي في جملته مصدره الوحي، أو الاجتهاد في ضوئه، وهذه الخصيصة لا توجد في أي مذهب اقتصادي آخر، فكل المذاهب الأخرى من وضع البشر.

لذا وجب الإيمان بأنه هو الصالح للناس، فيجب الأخذ به وتطبيقه، فهو اقتصاد معصوم في أوامره ونواهيه ومبادئه الكلية، وأقرب إلى الصواب في الأمور التي تكون بالاجتهاد.

ثانيًا: ربانية الهدف

الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى سد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية، طبقًا لشرع الله تعالى الذي استخلف الإنسان في التصرف في المال والانتفاع به، فالمسلم يدرك أن المال ملك الله - عز وجل - فيكون إرضاء مالك المال، سبحانه وتعالى هدفًا يسعى إليه المسلم في نشاطه الاقتصادي.

يقول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

ولذلك نجد المسلم وهو يزاول نشاطه الاقتصادي يسلك مسلكه وهو يعبد الله عز وجل، بل الهدف من نشاطه أساسًا عبادة الله تبارك وتعالى، والي: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثالثًا: الرقابة المزدوجة

عندما يضع نظام بشري مبادئه وقوانينه فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز للرقابة، ويستطيع الناس مخالفة هذا النظام ما داموا بعيدين عن أعين الرقباء، أما في الإسلام فإن النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين: رقابة بشرية، ورقابة ذاتية، والرقابة البشرية وجدناها بعد الهجرة، فالرسول £ كان يراقب الأسواق بنفسه، وعندما فتحت مكة أرسل من يراقب أسواقها، ومن هنا ظهرت وظيفة المحتسِب لمراقبة النشاط الاقتصادي إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وإحساس المسلم أن الله عز وجل أحل كذا، وحرم كذا، يفرض رقابة ذاتية، ولذلك رأينا سلوك المسلم في نشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته.

رابعًا: الجمع بين الثبات والمرونة أو التطور

في الاقتصاد الإسلامي أمور ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان والمكان: منها:

تحريم الربا والميسر، وحلّ البيع، وكثير من العقود، والنِّصاب، والمقدار في الزكاة، وتوزيع التركة على الورثة ؛ فليس لأحد أن يُحل ما حُرم، أو يُحرم ما أحل.

والإسلام جاء خاتمًا للشرائع السابقة ليطبق في كل زمان ومكان، فكان في اقتصاده من المرونة ما جعله يتسع للأساليب المختلفة، والوسائل المتجددة، والعرف ما دام لا يتعارض مع أصل ثابت.

ومن المعروف أن الأصل في العبادات الحظر، وفي المعاملات الإباحة ؛ لذا اتسع الاقتصاد الإسلامي ليشمل ما يَجِدُّ من المعاملات المختلفة التي خلت من الربا والميسر والغَرَر الفاحش، ورأينا تغير الفتوى تبعًا لتغير الزمان والمكان، يقال: هذا اختلاف زمان ومكان وليس اختلاف حجة وبرهان.

خامسًا: التوازن بين المادية والروحية

الإنسان مادة وروح، وخالقه عز وجل يعلم ما يصلح لكل منهما وما لا يصلح: ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

فجاء الاقتصاد الإسلامي بالتوازن بين الجانبين؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولهذا وجدنا الربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الإيمانية: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

بل جعل النشاط الاقتصادي سعيًا في سبيل الله كما جاء في الحديث الشريف: «إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». [رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٤٢٨].

ولهذا وجدنا في قواعد الإسلام للاقتصاد الحثّ على إعطاء الآخرين من رزق الله، زكاة وصدقة وكفارات.

سادسًا: التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة

للإنسان دوافعه ورغباته، وما يراه محققًا لمصلحته الخاصة، وقد تتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة، فراعى الاقتصاد الإسلامي التوازن التام بين المصلحتين.

ومن المعلوم أن ما يملكه الفرد لا يجوز غصبه أو الاعتداء عليه، كما قال ﷺ في خطبته يوم عرفة من حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». [متفق عليه].

> عندما يضع نظام بشري مبادئه وقوانينه فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز للرقابة، ويستطيع الناس مخالفة هذا النظام ما داموا بعيدين عن أعين الرقباء، أما في الإسلام فإن النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين: رقابة بشرية، ورقابة ذاتية

وللمالك حق الانتفاع المشروع بما لا يتعارض مع مصلحة الجماعة، وليس له حق استخدام ما يملك بطريقة تسبب الضرر للآخرين، أو الجماعة.

والمحتكر الذي يريد أن يستغل حاجة الجماعة لا يُمكَّن من هذا، بل يقوم ولي الأمر أو المحتسب بإجباره على البيع بثمن المثل.

هذا التوازن لا تراه في أي مذهب آخر، فالرأسمالية اتجهت نحو الفرد وإشباع رغباته دون حدود أو قيود، والماركسية ألغت مصلحة الفرد إلغاءً تامًا، وهكذا نجد اتجاهين متعارضين متناقضين: الاتجاه الفردي، والاتجاه الجماعي، ويبقى الاقتصاد الإسلامي متميزًا بخصيصة التوازن.

سابعًا: الواقعية

الاقتصاد الإسلامي واقعي في مبادئه ومنهجه وأحكامه: ينظر إلى الواقع العملي الذي يتفق مع طبائع الناس، ويراعي دوافعهم وحاجاتهم ومشكلاتهم، لا يجنح إلى خيال وأوهام، ولا ينزل إلى دَرَكٍ لا يتفق مع البشرية التي كرمها ربنا عز وجل.

ويكفي أن ندرس مبادئه لتتضح هذه الخصيصة، ولنتدبر قول العليم الخبير الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فهذا هو واقع الناس، اختلافهم في الرزق والجاه، ليتخذ بعضهم من بعض أعوانًا يسخّرون في قضاء حوائجهم، حتى يتساندوا في طلب العيش وتنعيم الحياة، وختام الآية الكريمة له أثره في أن يتم هذا في تراحم وتعاون محمود.

> الحرية مبدأ من المبادئ المهمة في الاقتصاد الإسلامي، فالمسلم حر في اختيار العمل الذي يناسبه، وطرق الكسب التي يستريح لها، والتملك الذي يفضله، والإنفاق الذي يشبع رغباته، وهذه الحرية مقيدة في حدود مبدأ الاستخلاف

ثامنًا: العالمية

من الخَمس التي خُصَّ بها خاتم الرسل ﷺ أنه بُعث للناس كافة، وكان كل نبي يُبعث لقومه خاصة [متفق عليه]، ونص القرآن الكريم على هذا في عدد من سوره، ففي أول سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وفي [سبأ: ٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وفي [الأنبياء: ٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وفي [الأعراف: ١٥٨]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

ولهذا جاء الإسلام صالحًا للتطبيق في كل زمان ومكان.

والاقتصاد جزء من هذا الدين الخاتم، ولهذا جاء بأحكام كلية، ومبادئ عامة تناسب كل مكان وزمان، وجمع بين الثبات المرونة أو التطور، واتسع لاجتهادات المجتهدين، وجعل الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يوجد ما يعارض نصًا، أو أصلاً ثابتًا أو مقصدًا من مقاصد التشريع الإسلامي.

مبادئ الاقتصاد الإسلامي

أولاً: الملكية المزدوجة، الخاصة والعامة

الملكية لله - عز وجل - وملكية البشر استخلافية:

الأصل في الملكية التامة أنها لله - عز وجل - فهو سبحانه وتعالى الخالق، لا شريك له، مالك الملك والملكوت، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

ولكنا نجد في آيات أخرى نسبة المال للناس، كقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٩-٢٠]، وقوله جل شأنه: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

والملكية هنا إنما تعني ملكية المنفعة والتصرف، ويمكن إدراك هذا بضم الآيات بعضها لبعض، فالمالك عز وجل استخلف البشر في ماله، وجعل لهم حق المنفعة والتصرف.

وهذا الحق جُعل في بعض الأموال للأفراد، وهو ما يُعرف بالملكية الخاصة، وفي بعضها الآخر جُعل للجماعة أو الدولة، وهو ما يُعرف بالملكية العامة.

ثانيًا: التكافل وضمان الكفاية

روى الإمام أحمد في مسنده من عدة طرق أن الرسول ﷺ قال: «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادمًا، أو ليست له دابة فليتخذ دابة». [صححه الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير ١ / ٤٣٣].

وقال الخطابي: «هذا يُتأول على وجهين: أحدهما: أنه أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التي هي أجرة مثله، والوجه الآخر: أن للعامل السكنى والخدمة، فإن لم يكن له مسكن ولا خادم استؤجر له من يخدم؛ فيكفيه مهنة مثله، ويُكترى له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله».

وقد نجد من الأعمال ما لا يحقق عائدًا لصاحب العمل يمكِّنه من إعطاء العامل أجرًا يفي بتمام كفايته هو ومن يعول، وهنا يأتي دور الدولة، فعليها أن تضمن للعامل تمام الكفاية إذا كان أجره العادل لا يكفيه، والعاجزون عن العمل لهم أيضًا تمام كفايتهم، ويكون هذا من نفقات الأقارب الواجبة، وإلا فمن الزكاة أو بيت المال.

ثالثًا: الحرية المقيدة

الحرية مبدأ من المبادئ المهمة في الاقتصاد الإسلامي، فالمسلم حر في اختيار العمل الذي يناسبه، وطرق الكسب التي يستريح لها، والتملك الذي يفضله، والإنفاق الذي يشبع رغباته.

وهذه الحرية مقيدة في حدود مبدأ الاستخلاف الذي ذكرناه آنفًا، وتضبطها أحكام التشريع الإسلامي من الحلال والحرام.

فالمسلم الوكيل يتصرف في الحدود الذي يسمح بها الموكل، فليس من حق المسلم أن ينتفع بالمال أو يتصرف فيه إلا بما شرعه مالك المال حقيقة، وهو الله عز وجل الذي استخلفه في هذا المال.

وإذا لم يراقب الله سبحانه وتعالى فمنع حقًا أو ارتكب حرامًا، جاء دور الشق الثاني من الرقابة المزدوجة، الرقابة البشرية التي تقوم بها الدولة المسلمة.

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله وقدر، والحمد لله رب العالمين.



حب سورة الإخلاص يوجب دخول الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد تكلمنا عن الإيمان باعتباره بوابة الطريق إلى الجنة، ثم تكلمنا عن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، ومن كلمة الإخلاص ننتقل إلى سورة الإخلاص.

وسورة الإخلاص توجب دخول الجنة، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، وقد قال رسول الله ﷺ لمن قرأها وجبت، قالوا وما وجبت؟ قال: الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ» فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» قلت: ما وجبت؟ قال: «الجنة». [الترمذي ٢٨٩٧ وصححه الألباني].

حب سورة الإخلاص يوجب دخول الجنة

وعن أنس بن مالك قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بسورة بأخرى، فإما أن تقرأ بها وأما أن تدعها وتقرأ بسورة بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها، فقال رسول الله ﷺ: «إن حبها أدخلك الجنة» [البخاري ٢٩٠١، والترمذي وقال: حسن].

وعن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فقال «إن حبك إياها يدخلك الجنة ». [وحسنه الألباني في صفة الصلاة ١ / ٤٠١].

وفي حديث معاذ بن أنس: « من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة». [صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٧٢].

وفي الحديث: « من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات؛ بنى الله له قصرًا في الجنة». [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٨٩].

تضمنها الاسم الأعظم

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَيَدِي فِي يَدِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَا اللَّهَ

سميت هذه السورة سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت لوصف الله تعالى، ولأنها تخلص قارئها من الشرك العملي الاعتقادي، وكذلك لاختصاصها بحق الله تعالى في ذاته وصفاته من الوحدانية والصمدية، ولتضمنها نفي الولادة والولد، ونفي الكفء؛ وكلها صفات انفراد لله سبحانه وتعالى

باسْمِه الأَعْظَمِ الَّذي إذَا سُئِلَ بِه أَعْطَى، وإذَا دُعِيَ بِه أَجَابَ، فَلَمَّا كَانَت اللَّيْلَةُ الثَّانيَةُ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَإِذَا ذَلكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَتُرَاهُ مُرَائِيًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، عَبْدُ اللَّه بْنُ قَيْسٍ، أَوْ أَبُو مُوسَى أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلا أُبَشِّرُهُ، قَالَ: بَلَى، فَبَشَّرْتُهُ، فَكَانَ لِي أَخًا. [أخرجه أحمد، وأبو داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني].

وعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّه £ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ فَقَالَ «قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ». ثَلاثًا. [أبو داود ٩٨٥، وصححه الألباني].

وهي صفة الرحمن وحبها يوجب محبة الله

لحديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين أن رسول الله £ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّه £ فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلكَ؟» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» [متفق عليه].

التعوذ والاستشفاء بها

ثبت عن النبي £ أنه كان يتعوذ بها مع المعوذتين:

فعن عائشة أن النبي £ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق سورة الفلق، وقل أعوذ برب الناس سورة الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات». [البخاري ٥٠١٧].

وأخرج أحمد عن عقبة بن عامر أن النبي £ قال: «يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أُنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم؟ قال: قلت: بلى جعلني الله فداك، قال: فأقرأني قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، ثم قال: «يا عقبة لا تنسهنّ ولا تبت ليلة حتى تقرأهن».

وسميت هذه السورة سورة الإخلاص؛ لأنها أُخلصت لوصف الله تعالى، ولأنها تخلص قارئها من الشرك العملي الاعتقادي، وكذلك لاختصاصها بحق الله تعالى في ذاته وصفاته من الوحدانية والصمدية، ولتضمنها نفي الولادة والولد، ونفي الكفء؛ وكلها صفات انفراد لله سبحانه وتعالى.

تعدل ثلث القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ £ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» [البخاري ٦٦٤٣].

وعنه أيضاً قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - £ - لأَصْحَابِهِ «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ ». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» [البخاري ٥٠١٥].

قال السيوطي: «هذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار، ولا دنيا ولا آخرة، ولا حلال ولا حرام، انتسب الله إليها، فهي له خالصة من قرأها ثلاث مرات عدل بقراءة الوحي كله» [الدر المنثور].

وقد يقول قائل: لماذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؟

والجواب: لأن القرآن اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولاً علوم الأحكام والشرائع.

ثانيًا: ما فيه من قصص وأخبار عن أحوال الرسل مع أممهم.

ثالثًا: علوم التوحيد وما يجب على العبد معرفته من أسماء الله وصفاته، وهذا هو أشرفها وأجلّها، وهذه السورة تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليها إجمالاً، فهذا وجه كونها تعدل ثلث القرآن، قال شيخ الإسلام – رحمه الله– في قصيدة له:

والعلم بالرحمن أول صاحب
وأهم فرض الله في مشروعه
وأخو الديانة طالب لمزيده
أبداً ولما ينهه بقطوعه
والمرأ فاقته إليه أشد من
فقر الغذاء لعلم حكم صنيعه
في كل وقت والطعام فإنما
يحتاجه في وقت شدة جوعه
وهو السبيل إلى المحاسن كلها
والصالحات فسوأة لمضيع

قال العلامة السعدي في تفسيره لسورة الإخلاص:

﴿ قُلْ ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لكمال غناه ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. اهـ

فاحرص أخي المسلم على قراءة هذه السورة، وتدبرها، والوقوف على معانيها، فلقد كان رسول الله ﷺ يقرأها إذا أصبح ثلاث مرات، وإذا أمسى ثلاث مرات، وعند نومه ثلاث مرات، ويقرأ بها دبر كل صلاة، وفي سنة الفجر وفي سنة الوتر، فلا نعلم سورة كان رسول الله ﷺ يحرص على قراءتها مثل هذه السورة العظيمة التي هي بحق تعدل ثلث القرآن.

والحمد لله رب العالمين.

قال السيوطي: «هذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار، ولا دنيا ولا آخرة، ولا حلال ولا حرام، انتسب الله إليها، فهي له خالصة من قرأها ثلاث مرات عدل بقراءة الوحي كله»



من محبطات الأعمال

ترك صلاة العصر

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على سيد الأنبياء نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نتكلم بعون الله تعالى عن حكم ترك صلاة العصر:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال النبي £ : «من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله». [البخاري: ٥٥٣].

والصلاة عماد الدين، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. من حافظ عليها فهو السعيد، ومن أضاعها وأهملها فهو الشقي البعيد، وعلى قدر المحافظة على أدائها كاملة، والمسارعة إليها حبًّا لله تعالى يكون حظ المرء في الإسلام، وعهده من الله.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن، لم يضيِّع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة». [صحيح الجامع: ٣٢٤٣، والمشكاة: ٥٧٠، وصحيح أبي داود: ١٢٧٦].

وقد أمر الله تعالى بالمحافظة عليها عامة، وخص بالذكر صلاة العصر، فقال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والصلاة الوسطى هي صلاة العصر؛ كما فسّرها رسول الله £ ، فعن علي رضي الله عنه قال: لما كان يومُ الأحزاب قال رسول الله £ : «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس». [البخاري: ٦٣٩٦، ومسلم ٦٢٧].

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر؛ ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا». [مسلم: ٦٢٨]، ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: حبس المشركون رسول الله £ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله £ : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا». أو قال: «حشا الله أجوافهم وقبورهم نارًا». [مسلم: ٦٢٨].

فالصلاة الوسطى هي صلاة العصر

فالحذر كُل الحذر من التفريط في صلاة العصر، فمن تركها فقد حبط عمله، ومن فاتته فكأنما وتر

أهله وماله وذكر ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ٢ / ٤٢ تأويلات كثيرة لمعنى حبوط العمل وقال: أقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد والله أعلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي £ قال: «الذي تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله». [البخاري ٥٥٢، ومسلم ٦٢٦]. أي: كأنما أُصيب بفقد أهله وماله.

فسبحان الله! ما أعظم الأمر؟! وما أفدح الخسارة؟! فالذي تفوته صلاة العصر فكأنما فقد أهله وماله.

هكذا قال النبي £ ، وما ينطق عن الهوى، تصور لو أن شخصًا كانت له أموال وأهل، وكان مسرورًا في ماله وبين أهله، ثم أُصيب بجائحة أتلفت أمواله وأهلكت أهله. فماذا يكون موقف الناس منه؟ إنهم لا بد أن يرحموه، ولا بد أن يُواسُوه في هذه المصيبة، ويقدموا له أنواع العزاء، ومع ذلك وللأسف الشديد نرى كثيرًا من الناس تفوتهم صلاة العصر، وصلوات أخرى كثيرة، ولا يحزنون لذلك، ولا يبالون بما حدث، وإخوانهم المسلمون يشاهدونهم على ذلك فلا يرحمونهم ولا يخوفونهم من عذاب الله وعقابه.

لذا كان رسول الله £ يحثّ على المحافظة عليها، ويرغّب في ذلك.

فعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «من صلى البردين دخل الجنة». [البخاري ٥٧٤، ومسلم ٦٣٥].

«البردان»: صلاة الصبح وصلاة العصر

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم الله - وهو أعلم بهم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يُصلون». [البخاري ٥٥٥، ومسلم ٦٣٢].

وعن زهير بن عمارة بن رُويبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله £ يقول: «لن يَلِجَ النارَ أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها». يعني: الفجر والعصر. [مسلم: ٦٣٤].

«لن يلج»: يعني: لن يدخل.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي £ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا». [البخاري ٥٥٤، ومسلم ٦٣٣].

لا تضامون في رؤيته: لا يلحقكم ضيم في الرؤية.

والمعنى: أنكم سترون ربكم رؤية محققة، لا شك فيها ولا مشقة، كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة.

وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [مسلم: ١٨١].

وصلاة العصر نعمة آتاها الله من قبلنا من الأمم فضيّعوها وحُرموا خيرها، فمن حافظ عليها منا ضاعف الله له الأجر.

فعن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله £ العصر بـ«المُخْمص» وقال: «إن هذه الصلاة - يعني صلاة العصر- عُرِضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين». [مسلم ٨٣٠].

المخمص: اسم طريق في جبل (عَير) إلى مكة.

ونستكمل حديثنا في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

حبوط العمل قسمان: قسم يكفر صاحبه كما في قوله تعالى «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله». وقسم يقصد به الزجر عن ترك العمل وظاهره غير مراد

باب الفتاوى ؟

تجيب عليها لجنة الدعوة بالمركز العام

ضبط مفاهيم

يسأل محمد ممدوح سليمان - من القصاصين الجديدة - الإسماعيلية يقول:

يتهم بعض الناس غيرهم ممن التزم ظاهر الإسلام والسنة بأنهم يستخدمون المصطلحات لصالحهم في كل الأحوال فيقولون: لو أصبتم بمكروه قلتم : المؤمن مبتلى ، ولو عوفيتم قلتم : المؤمن محروس من الله ، ولو أصيب غير الملتزم قلتم : عقاب الله ، ولو لم يُصَبْ بشيء قلتم: أمهله الله بذلك ، وليس عندكم قاعدة ثابتة ، فما تحقيق ذلك ؟

الجواب : ذُكر في هذا السؤال أربعة أمور: الأول : ما يصيب صالح المؤمنين من بلاء. الثاني : ما يصيبهم من عافية . الثالث : ما يصيب عصاة المسلمين وغير الملتزمين بظاهر السنة من بلاء . الرابع : ما يصيبهم من عافية .

فالمسلم الصالح قد يُصاب بالبلاء وقد يُعافى منه ، والله تعالى يصيب صالح المؤمنين بالبلاء لتكفير ما بقي من سيئاتهم ، فإذا تم ذلك ، كان البلاء بعد ذلك لرفع الدرجات ، وهذا ظاهر في الأنبياء بوضوح وجلاء وهم معصومون عن الكبائر ، فإن الله تعالى يبتليهم لرفع درجاتهم مع شدة بلائهم عن سائر الناس ؛ لقوله النبي £ : «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل..» [السلسلة الصحيحة ١٤٣].

وقد يعافي الله تعالى بعض الصالحين من البلاء الذي يطهرهم من الذنوب ، ويكون تطهيرهم بشيء غير البلاء كما قال نبينا £ : «إذا أراد الله بعبد خيرًا طهره قبل موته ، قالوا : وما طهور العبد ؟ قال : «عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه». [صحيح الجامع: ٣٠٦].

لكن لا يستطيع أحد أن يقول : إن هذا البلاء لرفع درجة فلان من الناس أو أنه لتكفير ذنبه.

أما المسلم المفرط المتساهل فإن البلاء وإن وقع عليه كعقوبة، فإن العقوبة أيضًا كفارة لذنبه، ورحمة من الله له من عذاب الآخرة، قال £ : « إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا، و إذا أراد الله بعبد شرًا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافيه يوم القيامة».[السلسلة الصحيحة ١٢٢٠] ، وتأجيل العقوبة في هذه الحالة يكون كالاستدراج لهذا المفرط المتساهل؛ لقول النبي £ : «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج». [السلسلة الصحيحة ٤١٣]، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، لكننا لا نستطيع الحكم على فلان بعينه من هؤلاء المفرطين ونقول : إنه في عافية فهو في استدراج ؛ لأنه قد يرزقه الله تعالى توبة نصوحًا تمحو ما قبلها من الذنوب.

ولا نقول: إن ابتلاءه عقوبة ، وإن كانت العقوبة في الدنيا رحمة بصاحبها من عقوبة الآخرة، وفي الجملة فأهل الإسلام من صالحي المؤمنين وغيرهم لا نستطيع أن نجزم بتقسيم هذه التقسيمات الماضية؛ لأن الله تعالى أعلم بهم وبإرادته نحوهم ، والأعظم في ذلك الكفّ عن أحوال العباد في هذا الشأن والدعاء للجميع بالهداية والرحمة والتوفيق ، والعفو والمغفرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن النظر إلى عصاة المسلمين كالنظر إلى الكفار، وإنزال نصوص الوعيد الخاصة بالكفار على هؤلاء المسلمين؛ ليس من منهج أهل السنة والجماعة. والله أعلم.

يسأل السيد المسلمي - قليوبية - يقول : ما هي كيفية العزاء الشرعي المأثورة عن الرسول £ وصحابته الكرام رضي الله عنهم؟ كما يسأل عن بداية ثلث الليل الأول ونهايته وكذلك الثلث الأخير .

الجواب : النبي £ هو القدوة في كل عمل في دين الله سبحانه وتعالى ، وقد كان يعلِّم أصحابه رضوان الله عليهم الهدْي النبوي عند المصيبة عامة، وعند الموت خاصة، كان قدوة لهم فيعلمهم العزاء الصحيح، وألا جلوس لتلقي العزاء على صورة مخصوصة في أوقات مخصوصة، ففي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبي £ إليه أن ابنًا لي قد قبض (مات) فأتنا، فأرسل يُقرئ السلام، ويقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكلٌ عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ورجال من أصحابه ، فرُفع إلى رسول الله £ الصبي ونفسهُ تقعقع (صوت الحشرجة) كأنها شَنَّة (القربة القديمة)، ففاضت عيناه £ ، فقال سعد: يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [متفق عليه].

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: لما توفي ابن رسول الله £ إبراهيم ، بكى رسول الله £ فقال له المعَزِّي - إما أبو بكر وإما عمر رضي الله عنهما -: أنت أحق من عظَّم الله حقه، قال رسول الله £ : «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الرب ، لولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر تابع للأول ؛ لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا ، وإنا بك لمحزونون». [صحيح ابن ماجه للألباني ١٣٠٢].

مما تقدم من الحديثين يتبين كيف كان النبي £ وأصحابه يقولون عند المصيبة إذا أصابتهم ، وكيف يقولون إذا أصابت غيرهم: «لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب».[متفق عليه].

وكيف يعزون غيرهم، إما بالحضور إلى منزل أهل الميت، وإما بتبليغهم ذلك أو بحضور الجنازة والصلاة عليها ودفنها ، فلا يحتاج الأمر بعد ذلك معاودة الجلوس وتكلف العزاء وغير ذلك .

جاء في «الموسوعة الفقهية» (١٢ / ٢٨٨): كره الفقهاء الجلوس للتعزية في المسجد، وكره الشافعية والحنابلة الجلوس للتعزية، بأن يجتمع أهل الميت في مكان ليأتي الناس إليهم للتعزية؛ لأنه محدث وهو بدعة ومجدد للحزن، ووافقهم الحنفية على كراهة الجلوس للتعزية على باب الدار إذا اشتمل ذلك على ارتكاب محظور كفرش البسط والأطعمة من أهل الميت ، وذهب المالكية إلى أن الأفضل في كون التعزية في بيت المصاب ، وقال بعض الحنابلة : إنما المكروه البيتوتة عند أهل الميت، وأن يجلس إليهم من عزى مرة، أو يستديم المعزِّي الجلوس زيادة كثيرة على قدر التعزية. اهـ.

ومما ذكر بعض أهل العلم في التعزية أن يقال: أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم، ورحم الله ميتكم.

أما عن ثلث الليل سواء الأول أو الأخير أو الأوسط ، فإن هذه الألفاظ على ظاهرها وحقيقتها : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ ، والليل يبدأ من غروب الشمس، لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، وآخر الليل ينتهي بدخول الفجر ؛ لقول النبي £ : «ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر». [سنن النسائي الكبرى ١٠٢٤٠]. وهذا الليل يُقسم بالساعة ثلاثة أثلاث، ويكون الثلث الأول هو ثلث الليل الأول، ثم الذي يليه الأوسط ثم الثلث الأخير .

والليل يختلف طولاً وقصرًا صيفًا وشتاء.

والله أعلم.



من هدي رسول الله £

في شهر المحرم، ويوم عاشوراء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ قَالَ: سُئِلَ أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ». [رواه مسلم: ١١٦٣].

من نور كتاب الله

أعداء المسلمين يهزؤون بشعائرنا جهلاً وحقداً

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٨- ٥٩].

من فضائل الصحابة

الرسول £ يخبر عليًّا بفضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، إِلاَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. لاَ تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ مَا دَامَا حَيَّيْنِ». [ابن ماجه: ٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ٩٢].

من دلائل نبوته £

إخباره £ بفتح بيت المقدس

عن عَوْفِ بْنِ مَالِك قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ £ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ ستًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا». [رواه البخاري : ٣١٧٦].

من دعائه £

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ £ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟! قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ»، فَتَلاَ مُعَاذٌ: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الترمذي: ٣٥٢٢، وهو أحد رواة الحديث، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٨٠١].

من أقوال السلف

قال مالك بن دينار: «إذا طلب العبدُ العلمَ ليعمل به كسره علمه، وإذا طلبه لغير العمل زاده فخرًا».

قيل لأبي عبد الله: «الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه». [العلو للذهبي ١ / ١٧٦].



حكم ومواعظ

عن أبي حازم قال: «كل نعمة لا تقرِّب من الله عز وجل فهي بلية».

وعن الفضيل قال: «لا تخالط إلا حسَن الخُلُق؛ فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سيئ الخُلُق فإنه لا يأتي إلا بِشَرٍّ».

وعن عمر بن الخطاب قال: «لاَ تَنْظُرُوا إِلَى صَلاَةِ أَحَدٍ، وَلاَ إِلَى صِيَامِهِ، وَلَكِن انْظُرُوا إِلَى مَنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى، وَإِذَا أَشْفَى وَرِعَ».

من حكمة الشعر

قال المتنبي في الوفاء وحفظ سر الصديق:

وإفشاء ما أنا مستودَعٌ
من الغدرِ، والحرُّ لا يغدُرُ
وإذا ما قدرتُ علي نطقه
فإني علي تركه أقدَرُ
أُصرِّفُ نفسي كما أشتهي
وأملكُها والقنَا أحمرُ

من نصائح السلف في عدم الخروج على الحكام

قال الحسن البصري رحمه الله: «اعلم -عافاك الله- أن جور الملوك نقمة من نقَم الله تعالى؛ ونقَم الله لا تُلاقى بالسيوف، وإنما تُتَّقى وتُستدْفَع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب».

من سير السلف في طلب العلم

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «طَلَبْتُ الْعِلْمَ فَلَمْ أَجِدْهُ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الأَنْصَارِ، فَكُنْتُ آتِي الرَّجُلَ، فَأَسْأَلُ عَنْهُ فَيُقَالُ لِي: نَائِمٌ؛ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي، ثُمَّ أَضْطَجِعُ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الظُّهْرِ، فَيَقُولُ: مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَأَقُولُ: مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، فَيَقُولُ: بِئْسَ مَا صَنَعْتَ، هَلاَّ أَعْلَمْتَنِي، فَأَقُولُ: أَرَدْتُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيَّ وَقَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَكَ». [سنن الدارمي ٥٦٦].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

من زار قبر والديه كل جمعة فقرأ عندهما أو عنده ﴿يس﴾ غفر له بعدد كل آية أو حرف. (موضوع).

وقراءة القرآن عند القبور بدعةٌ مكروهة، وما رُوي عن ابن عمر أنه أوصى أن يُقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتيمها: لا يصح؛ فقد قال الألباني: هذا الأثر عن ابن عمر لا يصح سنده إليه. «قلت: والصحيح عدم تخصيص يوم لزيارة القبور، وعند الزيارة يُفضَّل الدعاء لمن زار قبره ولأهل القبور». [السلسلة الضعيفة ١ / ١٢٦].

صحّح لغتك

قول: «الراسل فلان»: خطأ. والصواب: «المرسل فلان»؛ حيث إن اسم الفاعل من الفعل (أرسلَ) هو: مُرسِل، مثل أخرجَ فهو مُخرِج، والخطأ أن يقال: الراسل فلان؛ لأنك لا تستخدم في هذا المعنى الفعل: (رسَلَ). [الصواب اللغوي: د. ضوي].



أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن بعض مباحث النهي، وأثر القرائن السياقية في بيان دلالات النهي المختلفة، ونستأنف البحث:

تنويه مهم: في العدد السابق حدث خطأ مطبعي كبير غيَّر المعنى المقصود في البحث إلى عكسه تمامًا، إذ تم حذف «كيف» في الصفحة ٣٣ السطر السادس؛ فأصل الجملة جاء في سياق اعتراضي على من قال: إن الأصل في الأمر الندب، وأن الأصل في النهي الكراهية.

فأصل الجملة هكذا: «فعلى العموم (كيف) نقول: إن أوامر الله ورسوله كلها على الندب في الأوامر، والكراهية في النواهي، بمعنى إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، وقد أوجب الله علينا طاعته وطاعة رسوله £ ...».

فلما حُذفت كلمة «كيف» صارت الجملة كما بالمقالة: «فعلى العموم نقول: إن أوامر الله ورسوله ونواهيه كلها على الندب في الأوامر والكراهية في النواهي..».

فأدى هذا الخطأ إلى قلب المعنى إلى الضد تمامًا، وهذا لا أقول به، ومن الواضح في المقالة أني أسوق الأدلة، وأجزم بأن الأوامر أصلها الوجوب، والنواهي أصلها التحريم، ومما ساعد على تضخيم الخطأ أن هذه الفقرة بعد هذا الحذف، نزلت كعنوان كبير في المقالة، مما أدى إلى اعتقاد كثير من الناس إلى أننا نقول بهذا، فوجب التنبيه.

اقتضاء النهي الفساد

والقول بالفساد هو قول الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي £ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [مسلم ١٧١٨].

ووجه الدلالة منه: أن ما نهى عنه الشرع، فليس عليه أمر النبي £ فيكون مردودًا، وما كان مردودًا على فاعله فكأنه لم يوجد؛ لأنه فاسد.

فالشارع نهى عن الصلاة بلا طهارة، ونهى عن بيع الغرر، وعن بيع ما لا يملك، فإن وقع ذلك حكم بفساده. [شرح الورقات للفوزان ١ / ٤٨].

قال في «الفتح»: «يُحتج به في إبطال جميع العقود المنهية، وعدم وجود ثمراتها المترتبة عليها، وفيه رد المحدثات، وأن النهي يقتضي الفساد ؛ لأن المنهيات كلها ليست من أمر الدين فيجب ردّها». [٥ / ٣٥٧].

واستدل الجمهور على اقتضائه للفساد شرعًا، بأن العلماء في جميع الأعصار لم يزالوا يستدلون به على الفساد في أبواب الربويات، والأنكحة والبيوع، وغيرها، وقال غير الجمهور: إن النهي لا يقتضي الفساد.

قال الشوكاني: إن كل نهي -من غير فرق بين العبادات والمعاملات- يقتضي تحريم المنهي عنه، وفساده المرادف للبطلان، اقتضاءً شرعيًا، ثم ذكر حديث النبي £ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [مسلم ١٧١٨].

وقال: والمنهي عنه ليس عليه أمرنا؛ فهو ردّ، وما كان ردًا أي مردودًا كان باطلاً، وقد أجمع العلماء - مع اختلاف أزمانهم- على الاستدلال بالنواهي على أن المنهي عنه ليس من الشرع، وأنه باطل لا يصح، وهذا هو المراد بكون المنهي عنه مقتضيًا للفساد، وصح عنه £ : «... فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [البخاري ٧٢٨٨]. فأفاد وجوب اجتناب المنهي عنه، وذلك هو المطلوب. [إرشاد الفحول: ١ / ٢٣٣].

- قلنا: والراجح أن النهي المطلق يقتضي الفساد، كما قلنا فيما سبق إن النهي يقتضي التحريم، إلاَّ إذا جاءت قرينة صارفة من التحريم إلى غيره، كذلك إذا جاءت قرينة تصرف النهي من الفساد إلى غيره، وهنا يأتي دور القرائن السياقية بأقسامها المتعددة.

بالنسبة لفساد المنهي عنه؛ فإن من أهل العلم من قسَّم النهي إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يعود إلى العبادة نفسها، أو المعاملة نفسها.



الحلقة الثانية عشرة

إعداد/ متولي البراجيلي

٢- ما يعود إلى شرطها.
٣- ما يعود إلى أمر خارج عنها.

القسم الأول المنهي عنه لسبب في ذاته (في العبادات):

مثال (١): عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر. [البخاري ١٩٩١].

- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما، يوم فطركم من صيامكم، واليوم الآخر ما تأكلون فيه من نسككم. [البخاري ١٩٩٠، ومسلم ١١٣٧].

وحسب القاعدة: أن النهي المطلق يقتضي الفساد، ما لم تكن هناك قرينة صارفة، إضافة إلى أن النهي لذات المنهي عنه، وفي الحديث الذي بين أيدينا ينهى النبي ﷺ عن صوم عيد الفطر وعيد الأضحى، والنهي هنا للتحريم - كما سبق وبيَّنَّا - لكن ما معنى أنه يقتضي الفساد ؟ يعني إن صام فإن صيامه لا ينعقد ويبطل، إضافة إلى إثمه؛ لأنه خالف نهي النبي ﷺ .

- لذا لما جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما. فقال: إني نذرت أن أصوم يومًا. فوافق يوم أضحى أو فطر. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بوفاء النذر. ونهى رسول الله ﷺ عن صوم هذا اليوم. [مسلم ١١٣٩].

والأمة مجمعة على أنه لا يجوز صيام يوم الفطر والنحر، ولو نذر ناذر صيام يوم بعينه، فوافق ذلك يوم فطر أو أضحى، فأجمعوا أنه لا يصومها. [شرح ابن بطال لصحيح البخاري ٧ / ١٥٩ - ١٦٠].

وكذلك قال بالإجماع الحافظ ابن حجر في «الفتح».

قال في «عمدة القاري»: «...إن ابن عمر توقف عن الجزم بجوابه؛ لتعارض الأدلة عنده، ويحتمل أنه عرَّض للسائل بأن الاحتياط لك القضاء، فتجمع بين أمر الله وهو قوله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٩٢]، وبين أمر رسول الله ﷺ ، وهو أمره بترك صوم يومي العيد. وقال الخطَّابي: قد تورع ابن عمر عن قطع الفتيا فيه. (١٧ / ١٢٢).

مثال (٢): المنهي عنه لسبب في ذاته (في العادات):

النهي عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إلا بشروطها

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا مثلاً بمثل، ولا تشفُّوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق (يعني الفضة) إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز». متفق عليه.

[لا تشفوا: أي لا تفضلوا بعضها على بعض. غائبًا: أي مؤجلاً ، وناجزًا : حاضرًا].

النهي هنا عائد لذات البيع ؛ لأنه ربا، وبالتالي يكون فاسدًا بالإجماع، ويوضح هذا قول عمر : قال رسول الله ﷺ : «الذهب بالورق ربًا إلا هاء وهاء...».

قال النووي رحمه الله : قال العلماء: هذا يتناول جميع أنواع الذهب والورق من جيد ورديء وصحيح ومكسور وحلي وتبر وغير ذلك، وسواء الخالص منه والمخلوط بغيره، وهذا كله مجمع عليه. (شرح النووي على مسلم : ١١ / ١٠).

وفي الحديث ينهى النبي ﷺ عن الربا بنوعيه: ربا الفضل، وذلك في قوله ﷺ : «إلا مثلاً بمثل، سواءً بسواء»، وربا النسيئة، وذلك في قوله ﷺ : «ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز».

القسم الثاني: المنهي عنه لسبب عائد إلى شرطه: (في العبادات)

مثال (١): النهي عن لبس الحرير، ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». [مسلم ٢٠٦٩]. وزاد مسلم في رواية: «إلا موضع أصبع، أو أصبعين أو ثلاث أو أربع».

- فإذا صلى رجل في ثوب من الحرير - مع أنه يملك ثيابًا مباحة - لا شك أنه آثم، لكن هل صلاته باطلة؟

قال في «شرح الأصول»: فهذا رجل صلى بثوب الحرير، ولبس الحرير منهي عنه، ولبس الثوب للصلاة شرط (ستر العورة)، فلبس هذا الرجل ثوب حرير، وصلى فيه، مع أن عنده ثيابًا مباحة، فنقول: صلاتك غير صحيحة؛ لأن النهي عاد إلى شرط العبادة. وهذا هو المذهب (الحنابلة).

وذهب بعض أهل العلم إلى صحة صلاته، مع الإثم بلبس المحرَّم، وقالوا: إن جهة التحريم والأمر منفك بعضها عن بعض، فهو مأمور بالصلاة، منهي عن اللبس (الحرير)، بخلاف الذي صام يوم العيد، فإنه منهي عن الصوم، فلا يمكن أن يكون مأمورًا بالصوم، أما هذا فهو مأمور بالصلاة منهي عن اللبس، وعلى هذا فتصح صلاته مع الإثم بلبسه. وهذه رواية عن الإمام أحمد رحمه الله. (١ / ١٨٤).

ورجَّح ابن عثيمين في «الشرح الممتع» صحة الصلاة مع الإثم. (٢ / ١٥١).

– وقسْ على ذلك الوضوء بالماء المغصوب، فإن النهي ليس عائدًا لذات الوضوء، بل لأمر خارج عنه، والصلاة في الثوب المغصوب والأرض المغصوبة، فإن النهي ليس عائدًا إلى ذات الصلاة بل لأمر خارج عنها.

– وفي المعاملات: مثال (٢): النهي عن بيع حَبَلِ الحَبَلَة: عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن الرسول £ نهى عن بيع حَبَل الحبلة. [البخاري ٢١٤٣].

وقال الترمذي عقب روايته للحديث السابق: والعمل على هذا عند أهل العلم، وحبل الحبلة نتاج النتاج، وهو بيع منسوخ عند أهل العلم، وهو من بيوع الغرر.

– والمراد النهي عن بيع ما في البطون ؛ لأنه لا يُعلم أذكرٌ أم أنثى، أحي أم ميت، واحد أو متعدد، ففيه جهالة، ومن شروط البيع: العلم بالمبيع.

وبالتالي فهذا البيع باطل ؛ لأن النهي يتعلق بشرط من شروطه، والشرط هنا هو العلم بالمبيع.

– وقد نقل ابن المنذر الإجماع على فساد بيع حبل الحبلة. (الإجماع ١ / ٣٠).

– وعدم العلم بالمبيع يؤدي إلى الغرر، سواء على المشتري أو البائع، وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى الغرر، فهو منهي عنه، كما في الصحيحين: نهى النبي £ عن بيع الغرر. (متفق عليه).

القسم الثالث: المنهي عنه لأمر خارج عنه (في العبادات)

مثال (١): النهي عن لبس الرجل عمامة الحرير، فلو صلى بها، هل تبطل صلاته للنهي عن لبس الحرير، والنهي للتحريم، أم لا تبطل؟

قال في «شرح الأصول»: «... فهذا حرام، لكن صلاته صحيحة؛ لأن ذلك لا يعود إلى العبادة ولا إلى شروطها – يعني – لم ينه الرجل أن يصلي معتمًا بعمامة حرير، وستر الرأس ليس شرطًا لصحة الصلاة». (قلت: تغطية الرأس من تمام الزينة)، فإذا صلَّى وعليه عمامة حرير فصلاته صحيحة.

– ولو صلى رجل وهو يلبس خاتم ذهب (يأثم لارتكابه محرمًا) فصلاته صحيحة ؛ لأنه لا يتعلق بالصلاة ولا بشروطها، فليس من شروط الصلاة أن تلبس خاتمًا. ولم يقل: لا تصلِّ وعليك خاتم ذهب. (١ / ١٨٦).

ب- (في المعاملات) مثال (٢): النهي عن الغش، فلو باع شيئًا مع الغش، أيصح البيع أم يبطل ؟

فقد نهى النبي £ عن الغش فقال: «من غشنا فليس منا». [مسلم ١٠١].

فلو غش رجل في البيع – كما في سبب ورود الحديث – فجعل طيب الثمر فوق رديئه فأخفاه، فلا شك أن الرجل ارتكب محرمًا؛ لشديد نهي النبي £ عن ذلك، لكن بيعه صحيح، ويدل على هذا أن الفقهاء قالوا: إن المشتري له الخيار، والخيار فرع عن صحة البيع.

– ومثال ذلك أيضًا تلقي الجلب: فقد نهى عنه النبي £ ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه، فإذا أتى سيده السوق فهو بالخيار». [مسلم ١٥١٩].

– قلت: إثبات الخيار في الحديث من القرائن السياقية المتصلة التي بينت صحة البيع بإثبات الخيار للبائع إذا دخل السوق.

يقول ابن بطال: «... والخيار لا يكون إلا في بيع صحيح؛ لأنه لو كان فاسدًا لأجبر بائعه ومشتريه على فسخه». [١١ / ٣٠٣].

– فالبيع هنا صحيح؛ لأن النهي هنا ليس لذات البيع، وإنما لأمرٍ خارج عنه، وهو الغش.

– فإذا أخذنا بهذا التقسيم لأنواع النهي، هل هو لذاته أو لشرطه أو لأمر خارج عنه أمكننا أن نضبط كثيرًا من الأمور المنهي عنها، هل إذا وقع فيما نُهي عنه يأثم ويبطل العمل، أم يأثم ولا يبطل العمل؟

ومثال ذلك إذا سافرت المرأة إلى الحج بغير محرم، وقد نهاها الشارع عن السفر إلا مع محرم، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله £ قال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم». [البخاري ١٠٨٧].

فهي آثمة؛ لأنها خالفت نهي رسول الله £ ، لكن هل يبطل حجها أم لا ؟

– هذه لا يبطل حجها فهو صحيح ؛ لأن النهي لا يتعلق بذات الحج أو بشرط داخل الحج، وإنما يتعلق بأمر خارج عنه، فحجها مجزئ، ولا تعيده مرة أخرى، لكن عليها أن تتوب إلى الله وتستغفره مما حصل منها. (مع العلم أن وجود المحرم للمرأة في الحج من شروط الاستطاعة، فإذا لم تجد محرمًا فلا حج عليها، على الراجح من أقوال أهل العلم).

– النهي عن شيء يقتضي تحريم كل جزء منه: فالنهي عن الشيء نهي عنه، وعن جميع أفراده، كما أن الأمر بالشيء أمر به، وبكل جزء منه على الاستطاعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «تحريم

الشيء مطلقًا يقتضي تحريم كل جزء منه، كما أن تحريم الخنزير والميتة والدم اقتضى ذلك، وكذلك تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة يقتضي المنع من أبعاض ذلك، وكذلك النهي عن لبس الحرير اقتضى النهي عن أبعاض ذلك، لولا ما ورد من استثناء موضع إصبعين أو ثلاث أو أربع في الحديث الصحيح». (الفتاوى ٢١ / ٨٥).

ثم قال: وحيث حُرِم النكاح كان تحريمًا لأبعاضه، حتى يحرم العقد مفردًا والوطء مفردًا، كما في قوله: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢]. (السابق ٢١ / ٨٦).

– مثال (١): قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فنهى الشارع المحرم أن يحلق رأسه حتى يبلغ الهدي محله، يعني وقت حلوله، وهو يوم عيد النحر، هذا النهي شامل لكل الرأس، وأيضًا شامل لكل فرد من أفراد الرأس، فلا يجوز للمحرم أن يأخذ ولا شعرة من شعرات رأسه حتى يتحلل التحلل الأول.

– مثال (٢): الشارع نهى عن شرب الخمر، فيحرم على الإنسان أن يشرب الخمر الذي يُسكر، وأيضًا يحرم عليه أن يشرب ما لا يُسكر من الخَمر، ولو شرب نقطة واحدة، فهذا محرم ولا يجوز، ويترتب عليه الحدّ.

مثال (٣): النظر المحرَّم، نقول يشمل النظر، سواءً عن طريق مباشر، أو عن طريق غير مباشر، كما لو نظر إلى صورة وغير ذلك. [شرح رسالة ابن سعدي ١ / ٣٣].

مسألة: الأمر بالشيء نهي عن ضده من طريق المعنى

– فلو قال: امكث في الدار، وهذا أمر، فهل هذا الأمر يتضمن النهي عن الخروج من الدار. هذه المسألة اختلف فيها الأصوليون بين قائل بها على الإطلاق وبين من فصَّل فيها.

– فلا شك أن الأمر بالإيمان يتضمن النهي عن الكفر لأنه ضده، وكذلك الأمر باللبث في المكان يتضمن النهي عن ضده وهو الخروج، والأمر بالقيام يتضمن النهي عن ضده وهو القعود، وأشباه ذلك كثير.

والمسألة متصورة فيما إذا وُجد الأمر وقضينا أنه على الفور، فلا بد من ترك ضده عقيب الأمر، كما لا بد من فعل المأمور عقيب الأمر، أما إن قلنا: إن الأمر على التراخي فلا تظهر المسألة هذا الظهور.

– ثم إن كان الأمر يفيد الوجوب – وهو الأصل في الأوامر – يكون النهي عن ضده على التحريم – وهو الأصل في النهي –، وأما إن كان الأمر للاستحباب – بقرينة صارفة من الوجوب إلى الاستحباب – فإنه يفيد النهي عن ضده بما يناسب الاستحباب وهو الكراهة؛ لأن الاستحباب أن يكون فعل الشيء أولى من تركه، فالحكم في ضده – وهو الكراهة– أن يكون تركه أولى من فعله.

فمن حيث المعنى فإنه لا يُتوصل إلى فعل الشيء إلا بترك ضده، وهذا المعنى فيما له ضد واحد، وفيما له أضداد، فسواء كان له ضد واحد أو أضداد، فلا بد من ترك الكل حتى يفعل المأمور.

وأما النهي عن الشيء فهل يقتضي الأمر بضده ؟ فإن كان الشيء له ضد واحد مثل الحركة والسكون، فكذلك نقول أنه إذا نهاه عن السكون يكون الأمر بالحركة؛ إذ ليس بينهما واسطة، فأما إذا كان له أضداد فلا يكون النهي عن الشيء أمرًا بها كلها؛ لأنه يُتوصل إلى ترك الشيء من غير أن يفعل جميع أضداده، فافترقا لهذا المعنى.

وبعبارة موجزة فإن الأمر بالشيء إيجابًا أو ندبًا يستلزم النهي عن ضده تحريمًا أو كراهة. (قواطع الأدلة في الأصول ١ / ١٢٣ – ١٢٩ لأبي المظفر السمعاني.. بتصرف).

– فالأمر بالشيء ليس عين النهي عن ضده، ولكن يستلزمه أو يتضمنه من طريق المعنى، سواء كان الأمر إيجابًا أو ندبًا، إلا إنه إذا كان الأمر أمر إيجاب كان النهي عن ضده نهي تحريم، وإن كان الأمر أمر ندب كان النهي عن ضده نهي كراهية وتنزيه، وسواء كان للأمر ضد واحد، كالأمر بالإيمان فهو نهي عن الكفر، أم كان له أضداد كثيرة، كالأمر بالقيام فإنه نهي عن سائر أضداد المأمور به من القعود والاستلقاء والاضطجاع ونحوها.

– ويتضح أثر هذا القول فيمن قال لزوجته: إن خالفت نهيي فأنت طالق، ثم أمرها بالقيام فقال لها قومي، فقعدت، فمَن قال: إن الأمر بالشيء يدل على النهي عن ضده، يقول: إن قوله: قومي. فيه نهي عن القعود، فإذا قعدت فقد خالفت نهيه، فيقع الطلاق لحصول المعلق عليه، وهو مخالفة النهي.

ومن قال: إن الأمر بالشيء ليس بنهي عن ضده ولا يتضمنه، يقول: لا يقع الطلاق ؛ لأن قوله: قومي ليس فيه إلا أمرها بالقيام، ولم يتعرض للنهي عن القعود، فقعودها لا يعد مخالفة للنهي، بل هو مخالفة للأمر، والطلاق إنما عُلق على مخالفة النهي، ولم يعلق على مخالفة الأمر.

والراجح أنها تطلق، على ما ذهب إليه جمهور الأصوليين وأكثر الفقهاء؛ لأن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده إذا كان له ضد واحد، أو أضداد كثيرة ؛ لأنه لا يتحقق الامتثال إلا بترك هذه الأضداد جميعًا. (رسالة ماجستير في الأصول / خيرت يوسف الدين / بتصرف).

والله أعلم. وللحديث بقية، إن شاء الله.



عيسى

عليه السلام

الحلقة الثانية

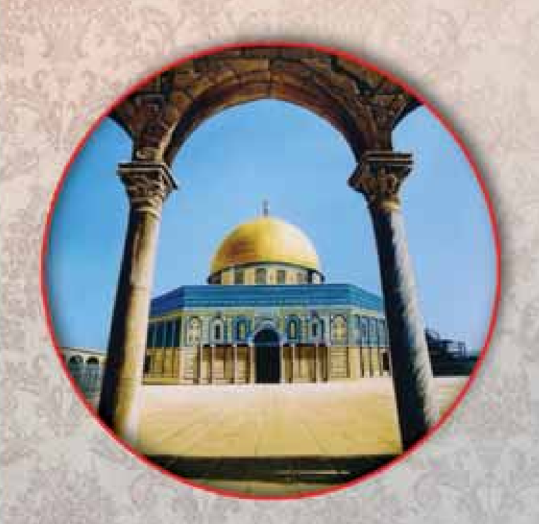
٢- مولده عليه السلام

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

أيها الحبيب: وقفنا بك في اللقاء الماضي على الوعاء الذي هيَّأه الله لحمل رسوله الكريم ونبيه العظيم عيسى عليه من الله أتم الصلاة وأكرم التسليم، ولما كانت نسبة عيسى إلى أمِّه مريم من غير أب فقد بيَّن الله شرف مريم ومكانتها، وكيف اختارها الله وهيأها لهذا الشرف العظيم، وطهَّرها واصطفاها على نساء العالمين، وقد أسهبنا في بيان ذلك فيما سبق بما يُغني عن إعادته، والآن نشرع فيما قصدنا إليه، فنقول وبالله التوفيق:

قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم: ١٦ - ٢٦].



في هذه الآيات الكريمة يقصُّ علينا ربنا سبحانه من نبأ مريم بالحق بعد أن قصَّ قبلها قصة يحيى عليه السلام، وكيف حملت به أمُّه بعد أن كانت عاقرًا فأصلحها الله، وكان زوجها زكريا عليه

السلام قد وهَنَ العظم منه، واشتعل رأسه شيبًا، وبلغ من الكبر عتيًا، والعاقل يرى المناسبة هنا واضحة بذكر قصة مريم بعد قصة يحيى، ويمكننا تلخيص ذلك فيما يلي:

١- البيئة المشتركة التي جمعتهم، والقرابة التي كانت بينهم.

٢- كفالة زكريا لمريم.

٣- كان يحيى استجابةً لدعوة زكريا عليه السلام، وكان للكرامات التي أكْرَم اللهُ بها مريم أثرٌ مباشر في ذلك.

تبرئة ساحة العذراء البتول !!

٤- والنقطة الأهم تتمثل في وجه التشابه الكبير بين ولادة يحيى وولادة عيسى، ألا وهو قدرة الله التي لا حدود لها؛ حيث جاء يحيى من أم عاقر وأب قد بلغ من الكبر عتيًا، وكذلك مريم حملت بأمر الله دون واسطة اتصال بشري، فسبحان مَن إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

وهذه القصة جاءت هنا بهذا التفصيل لتدلّ على قدرة الله في فعله، وحكمته في أمره ونهيه، ولتبرئة ساحة هذه العذراء البتول، وليتبين الحق الذي فيه يمترون، وقد سمى الله سورة كاملة في كتابه الكريم باسم «مريم» تكريمًا لها وتشريفًا.

ويمكننا تلخيص هذا المقطع من القصة كما أوردته الآيات من سورة مريم في النقاط التالية:

١- مريم عليها السلام وقد تفرَّغت لخدمة بيت الله، وعاشت في هذه البيئة الإيمانية، وانقطعت للعبادة والتبتل، أرادت أن تخلو بنفسها بعيدًا إلى ناحية الشرق، وهي قبلتهم، واعتكفت عن الناس.

٢- بينما هي كذلك؛ إذ دخل عليها إنسان، ففزعت وخافت من وجوده معها، وليس معها أحد، فاستعاذت بالله وذكّرته بتقوى الله، ولعلها التمست فيه سمات المتقين، والله أعلم.

٣- ولم يكن الداخل عليها بشرًا، بل كان جبريل عليه السلام، وجاءها في صورة بشر حتى تأنس به؛ لأنها لا تتحمل رؤيته في هيئته الحقيقية، فطمأنها قائلاً: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾.

٤- بينما أخذت دهشتها من حضوره المفاجئ في الزوال؛ إذ أخذتها دهشة أشد مما أخبرها به.

٥- وقالت متعجبة: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾. قالت: كيف ألد وأنا عذراء لم أتزوج بعدُ، ولست من البغايا (الزانيات).

٦- فرد عليها جبريل - عليه السلام- قائلاً: إن الله يخبرك أن هذا هيِّن عليه -سبحانه-، وهو الذي خلق آدم من تراب، وخلق حواء من آدم، وهو سبحانه يريد من خلق ابنك من غير أب أن يجعل ذلك آية ومعجزة للناس تدلُّ على تمام قدرته - سبحانه-، كما أن الله سيجعله رحمة للناس بما يأتي به من هداية رب العالمين، وهذا قضاء لا يردُّه رادّ: «جفت الأقلام وطويت الصحف».

٧- وعندها نفخ جبريل في طرف ثوبها نفخة حملت على إثرها مريم بعيسى وقُضي الأمر.

٨- عندما شعرت مريم -عليها السلام- بأثر الحمل المبارك في بطنها أرادت أن تبتعد أكثر عن أعين الناس؛ تجنبًا للقيل والقال، فانتقلت إلى مكان أبعد.

٩- وبينما هي في مكانها القصيِّ قريبًا من بيت المقدس فاجأها المخاض، وفي ذلك إشارة إلى أنها عليها السلام لم تعانِ من آلام الحمل والمخاض كما تعاني الإناث، لكن كانت ملائكة الله تحوطها، وتدبير الله من فوقهم.

١٠- ومع إيمان مريم عليها السلام بما بشرها به ربُّها عن طريق ملائكته، وما رأته بنفسها من دلائل قدرة الله حين كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء وهي في محرابها. نقول مع ذلك كلِّه لكنها عند معاينة الحقيقة وحين وضعت وليدها تمنَّت لو أنها ماتت قبل مواجهة قومها وهي تحمل وليدها، وذلك لشدة حيائها -عليها السلام-، ولعلمها بفساد قومها، وما جُبِلوا عليه من سوء ظن ونظرة مادية بحتة للأمور.

١١- وهنا بادرها النداء العلوي من مكان قريب منها فسمعت النداء ولم تر المنادي: ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾.

من تولى الله أمره فلا يحزن !!

١٢- نعم ناداها المنادي، وهو على الراجح جبريل عليه السلام، ناداها ولم تره قائلاً: إنه لا داعي للحزن؛ لأن الله معك يتولى أمرك فيما سيأتي، كما تولاه فيما مضى، وقد جعل الله تحت قدميك نهرًا يجري وأنت في صحراء، كما أن الله يأمرك أن تهزِّي جزع النخلة التي بجوارك تتساقط عليك رطبًا جنيًا طازجًا وشهيًا، فكلي من الرُّطب واشربي من الماء الجاري، واذكري ربك واشكريه.

١٣- ثم أخبرها عند مواجهة قومها ألا تكلمهم، ولا ترد عليهم، وإنما فقط تشير إلى مولودها.

١٤- وبعد أن تعافت مريم من نفاسها، وقد كان يسيرًا، فحملها كان يسيرًا، ليس في مدته، ولكن في تبعاته التي تصيب الحوامل، وكذلك مخاضها ونفاسها كان أيسر والله أعلم. حملت وليدها وعادت به إلى قومها، وهذه قضية يجب أن نتنبه إليها جيدًا ففي عودتها إلى قومها، وهي تحمل

وليدها، دليل على تصديقها بآيات ربها وكتبه، وهو جزء من رسالتها الدعوية؛ لأن عيسى لا بد أن يبرز للوجود في هذه اللحظة معلنًا تحدِّيه لبني إسرائيل ومتحدثًا عن نفسه، ومعلنًا عفَّة أمه وشرفها، ولذلك روايات الأناجيل حول هذه القضية تخالف العقل والنقل، ولعلنا نعرض لها لاحقًا، إن شاء الله.

١٥- حملت مريم ابنها وعادت به إلى قومها؛ طاعةً لأمر ربها، فماذا حدث؟ يقصُّ علينا ربنا ماذا حدث في الآيات التالية: قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ - ٢٩].

تعريض اليهود بمريم !!

١٦- عندما جاءت مريم قومها اليهود، وهي تحمل ابنها، أنكروا عليها ذلك؛ وقالوا: لقد جئت كذبًا وزورًا، وعرَّضوا بها في قولهم: يا أخت هارون في الصلاح والتقى ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغيًا. وهذا اتهام صريح منهم لمريم -عليها السلام- أنها جاءت بهذا الغلام من طريق غير مشروع، ولما لم ترد عليهم بكلمة واحدة، بل أشارت إلى الغلام الرضيع.

١٧- عندها سخروا منها، وقالوا -تهكمًا وسخرية-: كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا؟ هذا الموقف من القوم أحدث زلزالاً عظيمًا، وترتبت عليه أمور خطيرة، منها:

أ- اتهام العذراء البتول الشريفة بالزنا، وهي التي اصطفاها الله وطهرها.

ب- وهذا الاتهام يترتب عليه أمور أيضًا:

١- إقامة الحدّ على مريم، وهذا مكتوب عندهم في التوراة.

٢- إنكار نبوة عيسى.

٣- وأخطر من ذلك إنكار قدرة الله على ما يشاء ويختار، فكان لا بد من معجزة تُحدث زلزالاً مدويًا يرد هذا البهتان، ويرد أصحابه على وجوههم خاسئين، فجاءت الإجابة عن سؤالهم التهكمي - كيف نكلّم من كان في المهد صبيًّا؟- قوية مدوية، جاءت معجزة لا يقدر عليها إلا رب القُوَى والقدر، نطق الصبي في المهد، نعم حدث الذي استبعدوا، وتكلم بكلام فصيح واضح سجَّله رب العالمين قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة، فهيا نسمع ونقرأ ماذا قال عيسى وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٣].

أرأيت كلامًا أوضح من ذلك ينطق به صبي في المهد؟ ومن الذي أنطقه وعلَّمه هذه الكلمات؟ أنطقه الذي خلقه وسوَّاه بالأمر الكوني: «كن»، فكان، فتبارك الله رب العالمين.

وهذا الكلام المبارك الذي نطق به عيسى في المهد فيه أمور:

١- قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ تأكيد لعبوديته لله وبشريته، وأنه ليس إلهًا، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة، كما ضلَّ في ذلك من ضل.

٢- وقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فيه إثبات نبوته ورسالته، وأن الله سيحفظه حتى يؤدي رسالته، ولن يتركه لأعدائه والحاسدين له، وهذا تنبؤ بغيب لا يعلمه إلا الله، وقد وقع كما أخبر والحمد لله، وفي ذلك ردٌّ على اليهود البهت المكذبين لله ورسله قتلة الأنبياء.

٣- وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ بيان لمنزلته العظيمة وبركة الله التي صاحبته أينما كان.

٤- وفي قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ بيان لبعض مفردات منهجه المهمة في طريق دعوته إلى الله، وأن يكون هو قدوة لأتباعه.

٥- وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ بيان أهمية البر بالوالدين وتأكيد لنسبته لأمِّه مريم - عليها السلام- وأنه ليس له أب لأنه لو كان له أب لقال كما ذكر الله عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، وفي ذلك تزكية لأمه، وبيان لعفتها وطهارتها، وردّ على اليهود الذين اتهموها ظلمًا وزورًا.

٦- وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ وصف لجانب من أخلاقه العظيمة، ومنها اتصافه بالرحمة، والتواضع والاستقامة، ثم ختم هذا البيان العظيم بالسلام على نفسه في الدنيا والآخرة.

هذا البيان الناصع الواضح المختصر يرد على كذب اليهود وبهتانهم وحيرة النصارى بعد ذلك وضلالهم، لهذا كان تعقيب القرآن الكريم بهذه الآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

وإلى لقاء نستكمل به ما بدأنا، ونستمد من الله العون.

دروس من هجرة نبينا





إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا.

أما بعد: فإن هجرة نبينا £ وأصحابه من مكة إلى المدينة، شرف عظيم، ومنزلة سامية، نالها المهاجرون. وهذه الهجرة المباركة ليست حدثًا عاديًا، وإنما هي رمز للتضحية والفداء من أجل الإسلام. ولذا أحببت أن أذكّر نفسي وإخواني الكرام ببعض الدروس والفوائد المستفادة من هذه الهجرة المباركة؛ ليضعها المسلم أمام عينيه، ويسير على ضوئها في حياته؛ ليسعد في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

١- أعداء الإسلام لنا بالمرصاد:

إن أعداء الإسلام في كل زمان ومكان للمسلمين بالمرصاد. وهذه حقيقة ثابتة منذ أن أشرقت شمس الإسلام على العالم، ويتضح ذلك جليًا في هجرة نبينا £ وأصحابه بدينهم من مكة إلى المدينة؛ حيث تحمَّل نبينا £ من الأذى ما لم يتحمله بشر، وكذلك أصحابه الكرام مثل: بلال، وياسر، وعمار، وسمية، وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا؛ إذ منعهم المشركون من إقامة شعائر الإسلام. بل لقد اجتمع المشركون في دار الندوة لإعداد خطة يتخلصون بها من نبينا £ ، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فيجب علينا أن نكون على حذر من أعدائنا، ونُعدّ لهم ما استطعنا من قوة، حتى لا نُؤخَذ على غرَّة. قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٢- وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام:

إذا كان المسلم الذي يعيش في بلاد غير المسلمين لا يتمكن من إقامة شعائر الإسلام، والدعوة إليه علانية؛ وجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام؛ ليتمكن من إظهار شعائر دينه فيها، ويظهر ذلك في هجرة نبينا £ وأصحابه الكرام من مكة؛ حيث منعهم المشركون من إظهار الإسلام، والدعوة إليه، فهاجر الرسول وأصحابه إلى المدينة، فأقاموا دولة الإسلام، وعبدوا الله تعالى علانية، وأخذوا يدعون الناس للدخول في الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ

يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

٣- الهجرة من المعصية إلى الطاعة:

إن من أعظم الدروس المستفادة من الهجرة النبوية للمسلم الذي يعيش في بلاد الإسلام هي هجرة المعاصي والذنوب إلى طاعة الله تعالى، والتوبة النصوح، والندم على ما فرَّط في حق الله تعالى، وحق رسوله £ ، وحق نفسه، وحق إخوانه المسلمين الكرام.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٤- التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة:

إن حُسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب يظهر جليًا في إعداد نبينا لخطة الهجرة إلى المدينة، وإعداد أبي بكر الصديق للراحلتين مسبقًا، واستئجار نبينا £ لعبد الله بن أُرَيقط المشرك؛ ليكون دليلاً له أثناء الهجرة، ثم إنه أمر عليّ بن أبي طالب أن ينام على فراشه ليلة الهجرة؛ ليظن المشركون أن نبينا £ لا يزال نائمًا في فراشه.

ويظهر الأخذ بالأسباب أيضًا في تكليف عبد الله بن أبي بكر الصديق، وأخته أسماء وعامر بن فهيرة، بمهام محددة يقومون بها، وخروج الرسول £ وأبي بكر من الباب الخلفي لمنزل أبي بكر؛ حتى لا يراهما أحد من المشركين.

٥- التضحية والصبر على الأذى من أجل الإسلام:

ويظهر ذلك بصورة واضحة في هجرة نبينا £ وأصحابه وتركهم لبلدهم مكة المكرمة وهي أحب بلاد الله تعالى إلى الله جل وعلا، وهي التي وُلدوا فيها وعاشوا فيها، وذلك من أجل الإسلام.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ واقفًا على الْحَزْوَرَةِ -تل صغير خارج مكة- فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ». [رواه الترمذي ٣٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ لمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ». [رواه الترمذي ٣٩٢٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٣٦].

ويظهر هذا الدرس في موقف أبي بكر الصديق أثناء الهجرة مع نبينا £ ؛ حيث كان أبو بكر يتمنى أن يفتدي رسول الله £ بحياته، وبكل ما يملك؛ ابتغاء وجه الله تعالى.

فعن محمد بن سيرين قَالَ: «ذُكِرَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَأَنَّهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَاللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، وَلَيَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ، لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ £ لَيْلَةَ انْطَلَقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ £ ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصَدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ دُونِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَانَتْ لِتَكُنْ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ لِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ، فَاسْتَبْرَأَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْجُحْرَةَ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْجُحْرَةَ، فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتِلْكَ اللَّيْلَةُ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ». [دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٤٧٦].

٦- الشباب الصادق هم دعائم الإسلام:

إن الشباب المسلم الصادق -من الرجال والنساء- من أصحاب العقيدة الصحيحة، هم دعائم الإسلام حقًا. ويظهر هذا واضحًا في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق، والتي كانت لها مهمة بارزة أثناء الهجرة. بينما قام عبد الله بن أبي بكر الصديق وعامر بن فُهيرة بأمور أخرى؛ حيث كانا يحملان أخبار مكة إلى الرسول £ . واستخلف رسول الله £ عليّ بن أبي طالب لينام في فراشه حتى يخدع المشركين. [سيرة ابن هشام ٢ / ٨٩-٩٤].

٧- حُسن اختيار الصديق والرفيق:

ينبغي للمسلم أن يُحسن اختيار صديقه ومن يرافقه في السفر؛ بحيث يكون مسلمًا صالحًا أمينًا، ناصحًا لغيره من الناس، ويظهر ذلك في اختيار الرسول £ لأبي بكر الصديق لكي يكون مرافقًا له في هجرته من مكة إلى المدينة.

ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر

يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلمين من ذوي الأمانة والخبرة في المجال الذي يريده وذلك عند الحاجة

عادة بأخلاق وأفعال من يرافقه.

ولذا حثنا نبينا محمد ﷺ على حسن اختيار الصديق؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». [أبو داود ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٤٥].

٨- جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة:

يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلمين من ذوي الأمانة والخبرة في المجال الذي يريده، وذلك عند الحاجة، ويظهر ذلك من هجرة نبينا ﷺ إلى المدينة؛ حيث استأجر عبد الله بن أُريقط، وكان مشركًا؛ ليدله على الطريق إلى المدينة.

فعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: اسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا -أي خبيرًا بطرق الصحراء- وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ» [البخاري ٢٢٦٤].

وعلى ذلك نقول: يجوز للمريض المسلم أن يذهب للعلاج عند طبيب غير مسلم في حالة الضرورة، بشرط أن يكون هذا الطبيب خبيرًا بالطب، وموثوقًا به عند الناس.

قال ابنُ تيمية: «إذَا كَانَ الْيَهُودِيُّ أَوْ النَّصْرَانِيُّ خَبِيرًا بِالطِّبِّ، ثِقَةً عِنْدَ الإِنْسَانِ، جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَطِبَّ، كَمَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُودِعَهُ الْمَالَ، وَأَنْ يُعَامِلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]». [الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي ٢ / ٤٤١].

٩- التعاون والمحافظة على الأسرار من أسباب نجاح العمل:

يظهر هذا الدرس جليًا في هجرة نبينا إلى المدينة؛ حيث لم يعرف الناس الوقت المحدد للهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبا بكر الصديق وآل أبي بكر، أما عليٌ فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه، و«أَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ؛ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ؛ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ﷺ». [سيرة ابن هشام ٢ / ٩٢].

١٠- اللهُ تعالى ينصرُ من ينصره:

إن تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين ونصرته لهم حقيقة ثابتة منذ فجر التاريخ، ويظهر هذا بصورة واضحة عندما صرف الله تعالى المشركين عن دخول الغار الذي يختبئ فيه نبينا ﷺ وأبو بكر الصديق أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة. قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعن أنسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا. قَالَ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» [البخاري ٤٦٦٣].

١١- الله تعالى يستجيب دعاء عباده المخلصين:

ويتضح ذلك جليًا في سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ أثناء الهجرة. فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ -وهو يتحدث عن أحداث الهجرة-: «... فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ» فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ، فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ: «فَقِفْ مَكَانَكَ، لاَ تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا». قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ». [البخاري ٣٩١١].

١٢- أداء الأمانات إلى أهلها ولو كانوا من الأعداء أو من غير المسلمين:

يجب على كل مسلم أن يؤدي الأمانات إلى أهلها الذين ائتمنوه عليها، وإن كانوا من أعدائه أو من غير المسلمين، ويتضح ذلك في هجرة نبينا من مكة إلى المدينة؛ حيث أخبر رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بموعد الهجرة، وأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ؛ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ﷺ. [سيرة ابن هشام ٢ / ٩٢].

ولقد حثنا الله تعالى على أداء الأمانات

يجب على كل مسلم أن يؤدي الأمانات إلى أهلها الذين ائتمنوه عليها، حتى وإن كانوا من أعدائه أو من غير المسلمين

لأصحابها؛ حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

١٣- الصدق في الأقوال والأفعال طريق النجاة:

يجب على المسلم الصادق أن يتجنب الكذب في جميع أقواله، ويمكن أن يستخدم المعاريض عند الضرورة، ويتضح هذا جليًا فيما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ -وهو يصف أحداث الهجرة المباركة-: «.. أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّه £ إِلَى الْمَدِينَة وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّه £ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ، فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ. قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ». [البخاري ٣٩١١].

١٤- العفو عن الناس عند المقدرة:

ينبغي للمسلم أن يتصف بصفة العفو عن الناس؛ حيث إن هذا من الدروس المستفادة من هجرة نبينا £ ؛ حيث يتضح ذلك في عفوه £ عن سراقة بن مالك الذي خرج من مكة ليقبض على النبي £ وأبي بكر الصديق، ويفوز بالمائة بعير التي أعدها أهل مكة لذلك.

فعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قال -وهو يتحدث عن الهجرة-: «.. فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتْ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِك، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه £ فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا. أُرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ. قَالَ: وَوَفَى لَنَا». [مسلم ٣٠١٤].

١٥- الإسلام أرسى قواعد الأخوة الصادقة:

إن هجرة نبينا £ قد أبرزت الكثير من المعاني السامية، وأرست العديد من المبادئ العظيمة، ومنها مبدأ الإخاء الإسلامي الذي قامت عليه الدولة الإسلامية الجديدة، التي أقامها نبينا £ بعد الهجرة، فقد آخى الرسول £ بين المهاجرين والأنصار، وهذه المؤاخاة أخص من الأخوة العامة بين المؤمنين جميعًا؛ وذلك لأنها أعطت للمتآخيين الحق في التوارث فيما بينهما دون أن يكون بينهما صلة من قرابة أو رحم. إن هذه الأخوة الربانية ليس لها نظير في تاريخ البشرية، لقد كان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم إيثارًا نادر الوجود.

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ £ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ فَمَكَثْنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ £ : مَهْيَمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: مَا سُقْتَ إِلَيْهَا، قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ». [البخاري: ٢٠٤٩].

١٦- المرأة لها منزلة عالية في الإسلام:

إن أحداث الهجرة المباركة أثبتت أن للمرأة مكانتها العالية في الإسلام. ويظهر ذلك جليًا في موقف عائشة بنت أبي بكر الصديق؛ حيث حفظت أحداث الهجرة، وبلَّغتها للأمة الإسلامية. وتظهر منزلة المرأة في الإسلام أيضًا في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين)؛ حيث ساهمت في إمداد نبينا £ وأبي بكر الصديق بالطعام والشراب أثناء وجودهما في الغار.

وتظهر مكانة المرأة في الإسلام في موقف أم سلمة هند بنت أبي أمية، فقد عانت الكثير في سبيل هجرتها إلى المدينة؛ حيث فرَّق المشركون بينها وبين زوجها وابنها سلمة بعد أن فصلوا يده عن جسده.

ختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن العقيدة الإسلامية الصافية هي وحدها القادرة على التأليف بين القلوب المتنافرة وإزالة الحقد والكراهية والبغضاء من بين الناس

باب الأسرة

الطريق إلى السعادة الأسرية

حق الزوج على زوجته



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فكما أن للمرأة حقوقًا على زوجها، وقد ذكرناها، فإن للزوج أيضًا حقوقًا على زوجته، فما هي هذه الحقوق؟

١- طاعة الزوج:

فعلى الزوجة أن تطيع زوجها فيما أحبت وكرهت، ما دام لم يأمرها بمعصية، وما لم يأمرها بشيء لا تطيقه، فإن أمرها بما يخالف الشرع فلا سمع ولا طاعة.

قال £ : «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» [البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩].

وقال أيضًا: «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [أحمد ١٠٩٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٥٢٠].

وقال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال ابن كثير رحمه الله: «فإذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها، مما أباحه الله له منها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك».

والطاعة المطلقة لله جل وعلا، أما طاعة المرأة لزوجها فلها حدود، فينبغي للمرأة أن تحافظ عليها، وينبغي للزوج ألا يتعداها، فلا يأمرها بعدم الذهاب إلى أهلها، أو يطلب منها أن تشتري له شيئًا محرمًا كالسجائر مثلاً، أو يطلب منها أن تجهِّز له الشيشة (الجوزة) أو غير ذلك. وينبغي عليها ألا تطيعه إلا في المعروف.

٢- ألا تمتنع عنه إذا دعاها إلى فراشه:

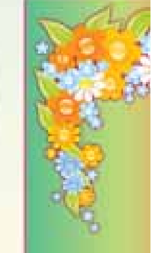
وهذه ملحقة أيضًا بطاعة الزوج، ما دامت قادرة على ذلك صحيًّا، وخالية من الموانع كالحيض أو النفاس، وكانت هي وهو في مكان لا تتعرض فيه للإحراج، كأن يكونا ضيوفًا في بيت أهلها مثلاً، فلا داعي للإحراج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج، والفاصل في هذا كله تقوى الله جل وعلا.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِه فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا؛ لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». [البخاري ٣٢٣٧، ومسلم ١٧٣٦].

فعلى الزوجة أن تخشى الله في هذا الأمر، وتحذر وعيده باللعنة في حالة رفضها بغير عذر، حتى لو لم يكن لها رغبة فلا تمنعه إذا رغبها هو، ولا يحق لها أن تعاقب زوجها بمثل هذا الشيء لغضبها عليه، أو لحاجةٍ في نفسها، وكما أسلفنا فتقوى الله من الطرفين واجبة، والحكمة مطلوبة.

٣- ألا تدخل بيت زوجها أحدًا يكرهه:

فلا تُدخل المرأةُ منزلَ زوجها أحدًا يكرهه من



الطاعة المطلقة لله عز وجل.. أما طاعة المرأة لزوجها فلها حدود؛ ينبغي للزوجة أن تحافظ عليها، وللزوج ألا يتعداها

الأقارب أو النساء الأجانب؛ لقول النبي £ : «وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ» [مسلم ١٢١٨]؛ ولما رواه الترمذي وصححه عن عمر بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع فسمع النبي £ يقول: «أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ؛ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً» [الترمذي ١١٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٨٠].

قال القرطبي: فقوله: «بفاحشة مبينة» يريد لا يُدخلن من يكرهه أزواجهن ولا يُغضبنهم، وليس المراد بذلك الزنا؛ فإن ذلك محرّم، ويلزم عليه الحد. [الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٧٣].

٤- عدم تمكينها لأجنبي من الخلوة بها:

فلا يجوز للمرأة أن تمكّن أحدًا من أن يختلي بها، ما لم يكن مَحْرَمًا أمينًا على عرضها، وخاصة أقاربها وأقارب زوجها الذين ليسوا بمحارم لها؛ لما في ذلك من الريبة والذريعة إلى المنكر، وهذا من أشد ما يتأذى به الزوج من تصرفات زوجته، وخاصة المسلم الغيور الذي يؤذيه عدم صيانة عرضه، وقد حذَّر النبي £ من ذلك، كما في حديث عقبة بن عامر، رضي الله عنه، أن الرسول £ قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ». [البخاري ٥٢٣٢، ومسلم ٢١٧٢].



فتشبيه الحمو بالموت يدل على أن دخوله على النساء أشد خطرًا من غيره؛ لأن الناس يتساهلون في دخوله على نسائهم، وهذا التساهل من أسباب ما قد يجري من المنكر، ولأن دخوله وخروجه عندما يصبح عادة يُؤْلَف؛ فلا يكون مستنكرًا مع خطورته، بخلاف الأجنبي؛ فإن الغالب عدم التساهل في دخوله، والناس ينكرون تردده.

٥- أن تحافظ على أسرار زوجها:

والأسرار نوعان: هناك سرّ يجب أن يكون بين الزوج وزوجته، لا يُفشَى أبدًا لا في الحياة ولا بعد الموت، وهذا خاص بالعلاقة الزوجية، قال £ : «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». [مسلم ١٤٣٧]، وهذا السر من أعظم الأسرار، ولا يفشيه إلا حمار!!

وهناك من الأسرار ما يُكتَم لفترة معينة، ولا يُفشَى إلا بإذن الزوج أيضًا، كما لا يجوز للمرأة أن تفشي سرًا يكون في إفشائه خطورة على زوجها، أو يسبب له حرجًا بين الناس.

٦- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه:

لقوله £ : «لا يحل لامرأةٍ أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره....» [أخرجه الطبراني (٢٠ / ١٠٧) قال الهيثمي (٤ / ٣١٣) رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. والحاكم (٢٧٧٠)، وقال: صحيح الإسناد].

وفي سؤال للجنة الدائمة:

س: ما حكم نزول المرأة إلى السوق بدون إذن زوجها؟

ج: إذا أرادت المرأة الخروج من بيت زوجها؛ فإنها تخبره بالجهة التي تريد الذهاب إليها، ويأذن لها في الخروج إلى ما لا يترتب عليه مفسدة، فهو أدرى بمصالحها؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤].

٧- أن تحفظ زوجها في غيابه في نفسها وماله:

لقوله £ : «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» [أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٥ / ٦٠). والديلمي (٢ / ١٨١، رقم ٢٩١٢)].

فتحفظ المرأة نفسها في غياب زوجها، فلا تخرج من البيت، ولا تبرز بزينة وتبرج، أو تلهو وتعبث، أو تنتهز فرصة غيابه لتستضيف من النساء من هبَّ ودبَّ لتكثير المجالس النسائية، ويكثر الكلام، والقيل والقال، وتناقل الأفكار التي يتعب منها الزوج ويحار، كذلك ينبغي أن تحفظ زوجها في ماله، فلا تُقرض منه أحدًا إلا بإذنه، ولا تأخذ هي لنفسها منه إلا بإذنه، ويستثنى فقط ما إذا كان الزوج شحيحًا، لا يقوم بالنفقة عليها، ولا على أولاده كما ينبغي، فهنا تأخذ من ماله ما يكفيها وعيالها بالمعروف؛ وذلك لما روت عائشةُ أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا

يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ. فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ» [البخاري ٥٣٦٤].

٨- ألا تصوم صوم التطوع إلا بإذنه:

إن خدمة المرأة زوجها، وقيامها بقضاء حاجاته أولى من قيامها بأداء بعض العبادات تطوعًا، كالصوم والحج ونحوهما، وقد دل على ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ». [البخاري ٥١٩٥، ومسلم ١٠٢٦].

٩- ألا ترهق زوجها بالإكثار من النفقات:

فالمرأة مأمورة أن تكون رفيقة متواضعة، تراعي حال زوجها وقدرته المالية، فلا تكلّفه ما ليس عنده، ولا تضطره إلى مدّ يده للناس يستدين ويقترض، وهي لا تبالي، وإن المرأة التي ترضى لزوجها أن يعيش مدينًا حتى يموت مدينًا لا خير فيها ولا بركة، وفعلها لؤم، وفالها شؤم.

وقد وصف النبي £ أفضل النساء بما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ £ قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ». [البخاري ٥٠٨٢، ومسلم ٢٥٢٧].

١٠- أن تكون نظيفة في ملبسها وهيئتها، وزينتها:

ما دامت قادرة على ذلك، حتى إذا رآها علاه السرور، وأخذته النشوة؛ لحديث النبي £ : «خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» [أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٥ / ٦٠)، والديلمي (٢ / ١٨١، رقم ٢٩١٢)].

كذلك ينبغي أن تكون منظفة لبيتها، مهتمة بأولادها، فذلك دليل على نظافتها، وسلامة ذوقها، وكل هذا يسر زوجها إذا نظر إليها، فتكون بذلك من خير النساء، كما ذكر النبي £ .

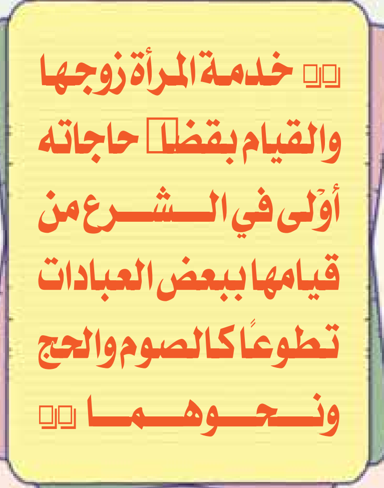
وما أعظم ما أوصت به أمامة بنت الحارث ابنتها في شأن النظافة أمام زوجها فقد قالت لها: «عليك بالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يَشُمَنَّ منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود».

وصدقت والله، فإن الكحل أقوى الزينات، وهو أفضل من التزييف بالدهانات والأصباغ والدوكو!!!

كما أن المرأة إذا لم تجد ما يطيِّب رائحتها عند زوجها - من العطور ومزيلات العرق- لفقرها أو لغيره، فلا أقل من أن تجعل الماء مزيلاً طبيعيًا للعرق ورائحته، وحينئذ فهو أطيب الطيب.

١١- أن تسترضيه إذا غضب:

فعن أنس بن مالك عن النبي £ قال: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال:



«النبي في الجنة، والصدِّيق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر، لا يزوره إلا لله عز وجل، في الجنة». قال: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العئود، التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى» [الطبراني في الأوسط (٢ / ٢٠٦ رقم ١٧٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٣٨٠].

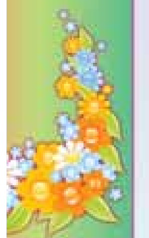
ولتحذر الزوجة ما رواه أبو أمامة عن رسول الله £ : «ثَلاَثَةٌ لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ رُءُوسَهُمْ: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا سَاخِطٌ عَلَيْهَا، وَمَمْلُوكٌ فَرَّ مِنْ مَوْلاَهُ» [البيهقي ٣ / ١٢٨ رقم ٥٥٤٦].

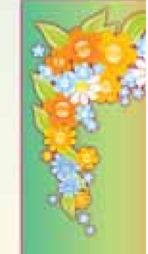
١٢- أن تعترف بجميله، ولا تجحد إحسانه:

إن ما يقوم به الزوج من اكتساب الرزق، وما يعانيه من الإنفاق على الأسرة، وتحمل مسئوليتها، وكفاية المرأة في كثير من الأمور التي لو غاب عنها لأرهقتها وكلفتها شططًا، وكذلك ما يقدمه من الإحسان لامرأته لجدير أن يقابَل بالشكر، والاعتراف بالنعمة؛ لأن جحودها يُشعر الزوج بأنه وضع هذه النعمة في غير موضعها، وأعطاها لمن لا يستحقها، فيتحطم أمله في أن تثمر تلك النعمة، أو يؤثر ذلك الإحسان، ولهذا حذر النبي £ النساء بوعيد شديد على كفرهن النعمة والإحسان، قال: «أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ. قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا. قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» [البخاري ٢٩].

١٣- أن تعترف بقوامته عليها وتخضع لرئاسته لها:

لقد منح الله تعالى الرجل رئاسة الأسرة وتوجيهها العام؛ لأنه أقدر على ذلك من المرأة، وله هيبة أمام بقية الأسرة، فهو الذي ينفق ويتحمل مسئوليات الدخل والإنفاق، ويضطلع بمسئوليات





الأسرة والمنزل بكاملة، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]، وليس المعنى أن يكون الرجل متسلطًا ولا المرأة مقهورة، وإنما المقصود توزيع الأدوار والمسئوليات، فيعرف كل طرف ما عليه، ويقوم كل منهما بدوره؛ لتصبّ هذه الأدوار مجتمعة متعاونة في مصلحة الأسرة، والنهوض بالعملية التربوية.

أما التنافس، والتصادم، والتعالي، وضياع الأدوار، وعدم تحديد المسئوليات؛ فيؤدي إلى التصدع والنفور، والفوضى والاضطراب؛ هذا إذا كان التنافس على الرياسة فقط، مع الاتفاق في باقي الاتجاهات؛ فأما إذا كان التنافس والاختلاف في جميع الاتجاهات، فأنذر بالخراب العاجل!

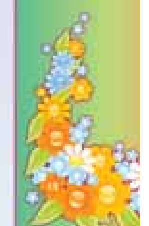
١٤- أن تحسن استقباله عند قدومه من خارج البيت:

فلا تفاجئه بما يُحزنه من الأخبار، فلعله آتى مهمومًا من عمله، أو حدث له شيء أساء إليه. فينبغي لها أن تستقبله ببشاشة وحنان، وأن تواسيه في مصائبه ومشكلاته، وتوفر له الراحة والهدوء في بيته، والمودة والرحمة، كما فعلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ منذ بدء نزول الوحي حتى ماتت رضي الله عنها. وكذلك فعلت أم سليم زوجة أبي طلحة، فقد مات ولده، وأخفت ذلك عنه، وتزينت له، وجهزت له عشاءه، ثم ساقت له الخبر بطريقة إيمانية ذكية، أدهشته وهوّنت عليه مصيبته.

١٥- تربية أولاده تربية إسلامية والقيام على شئون أهل بيت زوجها:

لا شك أن أوجب رعاية وأهمها هي رعاية التربية الإيمانية والسلوكية التي جاء بها القرآن والسنة المطهرة، وسيرة خير الورى ﷺ، ويتبع ذلك الرعاية الجسمية، والصحية والغذائية، والنظافة، وغير ذلك.

ويدخل في ذلك أن تساعده في تربية أولاده من غيرها إذا ماتت أمهم أو طُلِّقت؛ وهم في سنٍّ يحتاجون فيها إلى الرعاية، وكذلك إخوانه وأخواته الصغار إذا كانوا بلا أمّ، وقد دلّ على ذلك كله حديث عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ» [البخاري ٧١٣٨، ومسلم ١٨٢٩].



كما يدخل في ذلك بعض أقاربه الذين يجب أن يسعى هو على رعايتهم، كأمه العجوز وأبيه، ومما يدل على ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْ قَالَ خَيْرًا». [البخاري ٥٣٦٧].

نعم، لا يجب عليها القيام بشئون أبنائه من غيرها، أو ببعض أقاربه، إلا إذا اشترط عليها ذلك وقبلت، ولكن ينبغي عليها أن تقوم بذلك طواعية واختيارًا؛ فإن لها في نساء أصحاب رسول الله ﷺ قدوة حسنة في الصبر على خدمة أزواجهن.

منزلة الزوج ومكانته عند الزوجة في الإسلام:

من المفترض أن منزلة الزوج عند زوجته عالية، وحقه عليها عظيم، وقد قال النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» [الترمذي ١١٥٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٩٤].

وفي رواية: «لاَ يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا؛ مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا». [أحمد ١٢٢٠٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٢٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ، أيّ الناس أعظم حقًّا على المرأة؟ قال: «زوجها»، قلت: فأي الناس أعظم حقًّا على الرجل؟ قال: «أمه». [النسائي في الكبرى (٥ / ٣٦٣، رقم ٩١٤٨)].

ولما نُعي إلى حمنة بنت جحش أخوها الذي قُتل في أُحُد؛ فاسترجعت واستغفرت «أي قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثم نُعي إليها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت، ثم لما نعي إليها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت، «أي أحدثت صوتًا متتابعًا بالويل والاستغاثة». فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبمكان» [سيرة ابن هشام ٢/ ٩٨].

والآن وبعد أن بيَّنّا حق المرأة على زوجها، وحق الزوج على امرأته؛ نقول: إذا سار كل منهما على الطريق الذي حدّده له الإسلام، وأدى ما عليه من واجبات، مستصحبًا في ذلك كله تقوى الله جل وعلا؛ فإن كل طرف سيجبر الطرف الآخر على احترامه، وأداء حقوقه كاملة، غير منقوصة.

لكن الشيطان الرجيم لا يترك الطرفين يهنآن بالسعادة، ويجتهدان في العبادة، فيدخل في لحظة غفلة، أو جهالة من غضب أو شهوة، أو نقص عقل أو ضعف دين، فيوسوس ويحرِّش، ويزين ويشين، وينفث وينفخ، ويجلب عليهم بخيله ورجله، ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا. فتقع المرأة في المخالفات، ويتجاوز الرجل في بعض الحالات، فتسوء العلاقة، وتُضرَب المرأة، وتفسد العِشْرة. ويدب التصدع في البيت المصون.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.



باب الفقه

من سنن الفطرة

الحلقة الخامسة

السواك



إعداد: د/ حمدي طه



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عن سنن الفطرة، وحديثنا اليوم عن السوك:

أولاً: تعريف السواك

السواك عود الأراك، والجمع (سُوُك) مثل كتاب وكُتُب، (والمسواك) مثله. [المصباح المنير للفيومي ص١١٣].

فالسواك لغة: أصله الدلك والتحريك للعود، أو الآلة التي يُستاك بها. قال النووي: «وهو في اصطلاح الفقهاء استعمال عودٍ ونحوه في الأسنان بالاستياك لإذهاب التغير ونحوه».

[المجموع شرح المهذب ١ / ٣٢٦]

ثانيًا: حكم الاستياك

اتفق الفقاء على أن السواك سنة، ونقل عن بعض أهل العلم القول بوجوبه، وقد أنكر أكثر المحققين من أهل العلم هذا النقل عنهم.

قال الإمام النووي: «السواك سنة ليس بواجب، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حُكِيَ أن داود الظاهري أوجبه، وكذا إسحاق بن راهويه، وهذا النقل عن إسحاق غير معروف ولا يصح عنه، وغلط من حكى الوجوب عن داود». [المجموع ١ / ٣٢٧ بتصرف].

واحتجوا على استحباب السواك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة». [البخاري ٨٨٧، ومسلم ٢٥٢].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو كان واجبًا لأمرهم به، شق أو لم يشق». [الأم للشافعي].

وقال ابن قدامة: «واتفق أهل العلم على أنه سنة مؤكدة؛ لحث النبي ﷺ ومواظبته عليه، وترغيبه فيه، وندبه إليه، وتسميته إياه من الفطرة». [المغني: ١ / ٧٨].

ثالثًا: فوائده

السواك له فوائد عدة، منها ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». [البيهقي في السنن

الصغرى ٢ / ٤٢، وصححه الألباني في إرواء الغليل٦٦].

يقول العلامة ابن القيم: «وفي السواك عدة منافع: يطيِّب الفم، ويشدّ اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويُرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات». [زاد المعاد: ٤ / ٢٩٦].

وقد أثبت العلم الحديث صحة هذا الكلام، فإن للسواك من الفوائد الكثير والكثير.

رابعاً: السواك مستحب في كل وقت

وهو أشد استحبابًا في أوقات معينة، منها ما يتعلق بالعبادة، ومنها ما يتعلق بالعادة.

ما يتعلق بأوقات العبادة:

١- عند الوضوء: استعمال السواك عند الوضوء من السنن التي حثّنا عليها رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء». [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٣١٧].

٢- عند الصلاة: يسن استعمال السواك عند القيام للصلاة، سواء صلاة الفرض والنفل، وسواء صلى بطهارة ماء، أو تيمم، أو بغير طهارة- فاقد الطهورين-؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». [رواه الجماعة].

٣- عند قراءة القرآن:

ينبغي لقارئ القرآن إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك. [حاشية الجمل ١ / ١٢١]. وكذلك عند الذكر، وهذان الوقتان وإن لم يرد فيهما دليل على جهة الخصوص، فقد استُفيد الاستحباب من كونهما مناجاة لله جل وعلا، وينبغي للمسلم حال كونه كذلك أن يكون في أحسن هيئة، ولأن الملائكة تحضر مجالس الذكر، وتتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

٤- عند القيام لصلاة التهجد:

يستحب للمسلم عند قيامه من النوم لأداء صلاة الليل أن يستعمل السواك؛ لما ثبت من حديث حذيفة في الصحيحين قال: «كان - أي رسول الله ﷺ - إذا قام ليتهجد يُشوص فاه بالسواك». [البخاري ٢٤٥، ومسلم ٢٥٥].

قال العلماء: يغسله ويدلكه بالسواك.

ما يتعلق بالعادات:

١- تغير رائحة الفم:

يستحب استعمال السواك عند تغير رائحة الفم لأي سبب من الأسباب. يقول الإمام أبو شجاع في مختصره في بيان الأوقات التي يكون استعمال السواك فيها أشد استحبابًا: عند تغير الفم من أزم وغيره. والأزم قيل: السكوت الطويل، وقيل: ترك الأكل. [كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، لتقي الدين الحصني ص٦٣].

السواك مستحب في كل وقت وهو أشد استحبابًا في أوقات معينة منها ما يتعلق بالعبادة ومنها ما يتعلق بالعادة

فكل ما من شأنه تغيير رائحة الفم كطول السكوت، أو عدم الأكل، أو أكل وشرب ما له رائحة كريهة كالثوم والبصل وشرب الدخان، وكذلك اصفرار الأسنان، فكل ذلك يستحب له تطييب الفم باستعمال السواك. لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». [البيهقي في السنن الصغرى ٢ / ٤٢، وصححه الألباني في إرواء الغليل٦٦].

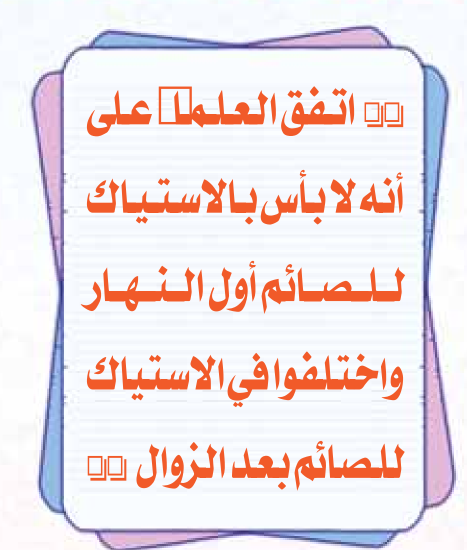
٢- عند القيام من النوم:

استحب أهل العلم استعمال السواك عند الاستيقاظ من النوم، سواء أكان بالليل أو بالنهار، وسواء كان لأداء الصلاة أم لغيرها؛ لحديث حذيفة السابق، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «كان يُوضع له وضوؤه وسواكه، فإذا قام من الليل تخلى ثم استاك». [رواه أبو داود ٥٦، وصححه الألباني].

والظاهر من الحديثين السابقين أنها مختصة بالقيام من النوم ليلاً.

يقول الشيخ ابن عثيمين: ولا يصح أن نستدل بحديث حذيفة على تأكد السواك عند الانتباه من نوم النهار؛ لأن الدليل أخص، ولا يمكن أن يستدل بالأخص على الأعم. [الشرح الممتع ١ / ١٢٦].

ولكن كيف استنبط العلماء من هذا الحديث



استحباب السواك عند الاستيقاظ نهارًا؟

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لكن يقال: إن حذيفة رأى النبي £ عند الانتباه من نوم الليل، ولا يمنع أن يكون ذلك أيضًا عند الانتباه من نوم النهار؛ لأن العلة واحدة، وهي تغير الفم بالنوم. [المصدر السابق ١ / ١٢٧]، فيكون استعمال السواك عند الاستيقاظ بالليل قد ثبت بالدليل، وعند الاستيقاظ من نوم النهار بالقياس.

٣- عند دخول البيت:

يستحب استعمال السواك عند دخول البيت، ودليل ذلك حديث المقداد بن شريح عن أبيه قال: قلت لعائشة: بأي شيء كان يبدأ رسول الله £ إذا دخل البيت؟ قالت: بالسواك [مسلم ٢٥٣]. وحكمة ذلك: المبالغة في النظافة عند دخول البيت؛ لحسن معاشرة الأهل، ولأنه ربما تغيرت رائحة الفم عند محادثة الناس أو طول السكوت، فيتأكد ذلك على من دخل منزله أن يبدأ بالسواك لذلك.

٤- عند الاحتضار:

استحب الفقهاء استياك المحتضر عند الموت. [الموسوعة الفقهية ٤ / ١٣٩].

وذلك لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها في وصفها لاحتضار النبي £ قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك، وأنا مُسندة رسول الله £ ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليِّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليَّنته، فأَمَرَّهُ. وفي رواية أنه استن به كأحسن ما يكون مستنًا، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات...» الحديث. [البخاري: ٤٤٤٩].

مسألة: هل يكره السواك للصائم؟

اتفق الفقهاء على أنه لا بأس بالاستياك للصائم أول النهار، واختلفوا في الاستياك للصائم بعد الزوال.

فذهب الشافعية وفي رواية للحنابلة إلى كراهة استعمال السواك للصائم بعد الزوال، وذهب الحنفية والمالكية والرواية الأخرى للحنابلة أن حكمه في حال الصوم وعدمه سواء. [الموسوعة الفقهية ٤ / ١٣٨].

واستدل القائلون بكراهة الاستياك بعد الزوال بحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله £ قال: «إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي». [أخرجه الدارقطني ٢ / ٤٣٢]، والعشي بعد الزوال، وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه من قوله £ : «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». [البخاري ٥٩٢٧].

قال الإمام النووي: «قال أصحابنا: وإنما فرَّقنا بين ما قبل الزوال وبعده؛ لأن بعد الزوال يظهر كون الخلوف من خلو المعدة؛ بسبب الصوم، لا من الطعام الشاغل للمعدة، بخلاف ما قبل الزوال». [المجموع شرح المهذب ١ / ٢٣٠].

واحتجوا بالرأي فقالوا: إذا كان الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك وهو ناشئ عن طاعة الله، فإنه لا ينبغي أن يزال والسواك يزيله. كدم الشهيد عليه فإنه لا يزال، فكل ما كان ناشئًا عن طاعة الله فإنه لا ينبغي إزالته لأمره £ أن لا يغسلوا - أي الشهداء - وأن يُدفنوا بدمائهم.

واستدل القائلون بالجواز بعموم الأدلة على سنية السواك كحديث عائشة رضي الله عنها، فإن النبي £ لم يستثنِ شيئًا، والعام يجب إبقاؤه على عمومه إلا أن يرد مخصِّص، وليس لهذا العموم مخصص قائم. [الشرح الممتع لابن عثيمين ١ / ١٢٣].

ورد على ما استدل به القائلون بالكراهة بما يلي:

«أما حديث عليّ فضعيف لا يقوى على تخصيص العموم؛ لأن الضعيف ليس بحجة، فلا يقوى على إثبات حكم، وتخصيص العموم حكم؛ لأنه إخراج لهذا المخصص عن الحكم العام، وإثبات حكم خاص به فيحتاج إلى ثبوت الدليل المخصص، وإلا فلا يقبل، وأما التعليل فعليلٌ من وجوه:

الوجه الأول: أن الذين قتلوا في سبيل الله، أُمرنا بأن نبقي دماءهم؛ لأنهم يبعثون يوم القيامة الجرح يثعب دمًا، اللون لون دم، والريح ريح مسك [البخاري ٥٥٣٣]، فلا ينبغي أن يُزال هذا الشيء الذي سيوجد

يوم القيامة، ونظير ذلك قوله ﷺ في الذي مات في عرفة: «كفنوه في ثوبيه». [أبو داود ٣٢٣٨ وصححه الألباني].

الوجه الثاني: أن ربط الحكم بالزوال منتقض؛ لأنه قد تحصل هذه الرائحة قبل الزوال؛ لأن سببها خلو المعدة من الطعام، وإذا لم يتسحر الإنسان آخر الليل فإن معدته ستخلو مبكرًا، وأنتم لا تقولون متى وجدت الرائحة الكريهة كره السواك؟!

الوجه الثالث: أن من الناس من لا توجد عنده هذه الرائحة الكريهة؛ إما لصفاء معدته، أو لأن معدته لا تهضم بسرعة. [الشرح الممتع ١ / ١٢٤].

وهذا الذي ذهب إليه الجمهور، هو الأرجح، يقول العلامة البهوتي في الإقناع: «وهذا أظهر دليل، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية».

خامسًا: صفات السواك

يستحب أن يكون الاستياك بعود متوسط في غلظ الخنصر، لا رطبًا يلتوي، ولا يابسًا يجرح اللثة، ولا يتفتت في الفم، والمراد أن يكون لينًا. [المجموع شرح المهذب للنووي ١ / ٢٣٥، والمغني لابن قدامة ١ / ٧٩].

مسألة: هل يستاك بغير العود؟

أجاز بعض الفقهاء الاستياك بغير العود، مثل الغاسول والأصبع، واعتبروه محصلاً للسنة، ونفاه آخرون ولم يعتبروه. [الموسوعة الفقهية ٤ / ١٤١].

والقول بالجواز هو الأرجح: قال النووي: «وهو المختار؛ لحصول المقصود به وهو الإنقاء». [المجموع ١ / ٣٣٥].

ويمكن أن يلحق بالغاسول كل ما يُستخدم لتنظيف الأسنان كمعجون الأسنان وغيره.

سادسًا: كيفية الاستياك وآدابه

١- يستحب إمساك السواك باليد اليمنى؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيمن، كما روت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله». [البخاري ٥٨٥٤، ومسلم ٢٦٨]. وفي رواية عنه: «وسواكه».

واستحب أكثر أهل العلم أن يبدأ من الجانب الأيمن للفم، ويستاك عرضًا؛ لأن استعماله طولاً قد يجرح اللثة. [المجموع ١ / ٣٣٤، غاية النهاية ١ / ١٩، حاشية الخرشي على مختصر خليل ١ / ١٣٩].

وقال الشيخ ابن عثيمين: يرجع إلى ما تقتضيه الحال، فإذا اقتضت الحال أن يستاك طولاً استاك طولاً، وإذا اقتضت الحال أن يستاك عرضًا استاك عرضًا؛ لعدم ثبوت سنة عن النبي ﷺ في ذلك. [الشرح الممتع ١ / ١٢٦].

٢- ثم بعد ذلك يمر السواك على أطراف الأسنان

> يستحب أن يكون الاستياك بعود متوسط في غلظ الخنصر، ولا رطبًا يلتوي ولا يابسًا يجرح اللثة ولا يتفتت في الفم

العليا والسفلى ظهرًا وبطنًا، ثم يمر على كراس الأضراس، ثم على اللثة واللسان وسقف الحلق بلطفٍ، ومن لا أسنان له يستاك على اللثة واللسان وسقف الحلق؛ لأن السواك وإن كان معقول المعنى إلا أنه ما عري عن معنى التعبد، وليحصل له ثواب السنة، وهذه الكيفية لا يُعلم فيها خلاف. [الموسوعة الفقهية ١ / ١٤٣].

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «أتينا رسول الله ﷺ نستحمله، فرأيته يستاك على لسانه». وفي رواية: قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يستاك، وقد وضع السواك على طرف لسانه، وهو يقول: «إِه إِه». - يعني يتهوع». [أبو داود ٤٩، وحسنه الألباني].

٣- يستحب أن يلين السواك إذا كان يابسًا بغسله أو غير ذلك؛ لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك.. إلخ الحديث [البخاري: ٤٤٤٩].

٤- ويستحب للمرء أن يغسل سواكه بعد أن يستاك به حتى يخلِّصه مما يعلق به من الأذى؛ لما روت عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يستاك، فيعطيني السواك لأغسله، فأبدأ به فأستاك، ثم أغسله وأدفعه إليه. [أبو داود ٥٢، وحسنه الألباني].

٥- يُندب أن يُحفظ السواك في مكان لا يصل إليه فيه مستقذر.

هذا ما تيسر لنا جمعه فيما يتعلق بالسواك من أحكام وآداب، نسأل الله أن يتقبل منا، وأن يعفو عن زلاتنا، فهو ولي ذلك والقادر عليه، ونكمل حديثنا عن سنن الفطرة في الحلقة القادمة، إن شاء الله تعالى.

التعبد لله بأسمائه وصفاته

ثمرات وبركات

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن أجل المقاصد وأنفع العلوم: العلم بمعاني أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته العلا، والتعرّف على الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح بفاطر الأرض والسماوات، والعلم بأسماء الله وصفاته يؤدي إلى عبادة الله تعالى ومحبته وخشيته، ويوجب تعظيمه وإجلاله.

وإن كل ما في السماوات والأرض من خير وبركة، وحُسن وجمال، وبهاء وجلال، ما هو إلا أثر من آثار صفات ذي الجلال والكمال، ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٥٠).

ومع أهمية هذا الجانب وجلالة قدره، إلا أن ثمة غفلةً عنه، فنلحظ الجهل بأسماء الله وصفاته، وإهمال التعبد والدعاء بها، وضعف الالتفات إلى ما تقتضيه هذه الأسماء الحسنى من الآثار والثمرات.

وتظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الآيات القرآنية المتعددة التي تحض على تدبر القرآن الكريم؛ كما قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)، وذم القرآن من لا يفهمه فقال تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨)، ولا شك أن فقه أسماء الله (تعالى) وصفاته يدخل في ذلك دخولاً أوليًا.

- كما أن عبادة الله (تعالى) ومعرفته آكد الفرائض، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة أسماء الله وصفاته.

قال الأصفهاني (ت٥٣٥هـ): «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)، فينبغي على المسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها؛ فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً: طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها. (الحجة في بيان المحجة ١ / ١٢٢).

وفقه أسماء الله تعالى وصفاته يوجب تحقيق الإيمان والعبادة لله وحده، وإفراده سبحانه بالقصد والحبّ والتوكل وسائر العبادات، كما بيّن ذلك أهل العلم.

ولذا يقول العز بن عبد السلام: «فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات». ويقول أيضًا: «ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النقمة موجب للخوف، وبالتفرد بالإنعام موجب للشكر، ولذلك قال سبحانه: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

ويقول ابن القيم رحمه الله: «لا يستقر للعبد قدم في المعرفة - بل ولا في الإيمان - حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرج عن حدّ الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرّفها هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان». (مدارج السالكين: ٣ / ٣٤٧).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «إن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين.

وبحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن. (تفسير السعدي: ١ / ٢٤).

المقصود بالتعبد بأسماء الله وصفاته

والمقصود بالتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته: تحقيق العلم بها - ابتداءً - وفقه معاني أسمائه وصفاته، وأن يعمل بها، فيتصف بالصفات التي يحبها الله تعالى: كالعلم، والعدل، والصبر، والرحمة.. ونحو ذلك، وينتهي عن الصفات التي يكرهها له تعالى من عبيده مما ينافي عبوديتهم لله تعالى،

كالصفات التي لا يصح للمخلوق أن يتصف بها كالكبر والعظمة والجبروت، فيجب على العبد – إزاءها – الإقرار بها والخضوع لها.
ومن العمل بها: أن يدعو الله تعالى بها، كما قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، كما أن من العمل بها: تعظيمها وإجلالها، وتحقيق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المحظورات.
يقول ابن تيمية: «إن من أسماء الله تعالى وصفاته ما يُحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية والتجبر والتكبر، وللعبد من الصفات التي يُحمد عليها ويؤمر بها ما يمنع اتصاف الربّ به كالعبودية والافتقار والحاجة والذل والسؤال ونحو ذلك». (الصفدية ٢ / ٣٣٨).
وقال ابن القيم: «لما كان سبحانه يحبّ أسماءه وصفاته: كان أحبّ الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية. (طريق الهجرتين ص١٢٩).
وقال الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا – مائة إلا واحدًا – من أحصاها دخل الجنة». (البخاري: كتاب التوحيد، باب ١٢).
وقيل: معنى أحصاها: عمل بها، فإذا قال: «الحكيم» مثلاً، سلَّم جميع أوامره، لأن جميعها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: «القدوس»، استحضر كونه منزهًا عن جميع النقائص، وهذا اختيار أبي الوفا بن عقيل.
وقال ابن بطال: طريق العمل بها: أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها – كالرحيم والكريم -: فإن الله يحب أن يرى أثرها على عبده فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله تعالى – كالجبار والعظيم -: فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد: نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد: نقف منه عند الخشية والرهبة. (فتح الباري: ١١ / ٢٢٩).

التلازم بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة

ومما يستحق تقريره – هاهنا -: أن هناك تلازمًا وثيقًا بين إثبات الأسماء والصفات لله تعالى وتوحيد الله تعالى بأفعال العبادة، فكلما حقَّقَ العبد أسماء الله وصفاته علمًا وعملاً، كلما كان أعظم وأكمل توحيدًا، وفي المقابل: فإن هناك تلازمًا وطيدًا بين إنكار الأسماء والصفات وبين الشرك.
يقول ابن القيم في تقرير هذا التلازم: «كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله – أو بعضه – وظن السوء به، لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه: ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الصافات: ٨٦، ٨٧) أي: فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه شيء من أحوال عباده حتى يحتاج إلى شركاء تعرفه بها كالملوك ؟ أم ظننتم أنه لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاسٍ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقلٌ ومستكثرٌ. ونورد أمثلة في توضيح هذا التلازم والصلة بين توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات.
– فالدعاء – مثلاً – هو آكد العبادات وأعظمها؛ فالدعاء هو العبادة – كما أخبر المصطفى ﷺ ، وهو لا ينفك عن إثبات وفقه أسماء الله تعالى وصفاته.
ويشير ابن عقيل إلى هذه الصلة بقوله: «قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:
أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدعى.
الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يُدعى.
الثالث: السمع، فإن الأصم لا يُدعى.
الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يُدعى.
الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يُدعى.
السادس: القدرة، فإن العاجز لا يُدعى.
□ والتوكل على الله تعالى وحده شرط في الإيمان، وأجلّ العبادات القلبية، ولا يتحقق التوكل إلا بمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وقد وضح ذلك ابن القيم بقوله: «ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الربّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته». (طريق الهجرتين).
وقال ابن تيمية رحمه الله: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأن يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضًا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات.
فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلويه، ولا هو فاعل باختياره، ولا له إرادة ومشيئة، ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف، كان توكله أصح وأقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم». اهـ «مجموع الفتاوى».
□ وحسن الظن بالله والثقة به تعالى عبادة جليلة تقوم على فقه أسماء الله وصفاته، كالحكمة والقدرة، كما أن سوء الظن بالله من آثار إنكار أسماء الله تعالى وصفاته.
يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء

فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده... ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تَعَتُّبًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك». «زاد المعاد».

– وأشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى أن أصول العبادة الثلاثة: (الحب، والرجاء، والخوف) من آثار وثمرات التعبد، بأسماء الله وصفاته، فقال في مسائل ذكرها في تفسير سورة الفاتحة: «أركان الدين: الحب، والرجاء، والخوف، فالحب في الأولى، وهي ﴿ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، والرجاء في الثانية، وهي: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، والخوف في الثالثة، وهي: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾. «تاريخ ابن غنام ٢ / ٣٦٠».

إذ ظهر بهذه الأمثلة مدى التلازم الوثيق بين صفات الله تعالى وما تقتضيه من العبادات الظاهرة والباطنة، فيمكن أن نخلص إلى ما حرره ابن القيم بقوله: «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني: من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوزام التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة، وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك: الحياء باطنًا، ويثمر له اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة، هي موجباتها، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات». «مفتاح دار السعادة: ٢ / ٩٠».

آثار التعبد بأسماء الله تعالى وصفاته

والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته له آثاره الطيبة في حُسن الخُلق وسلامة السلوك، كما أن تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته لا ينفك عن مساوئ الأخلاق ورديء السلوك.

ومثال ذلك: أن القدرية النفاة لما كانوا ينفون علم الله تعالى المحيط بكل شيء، ويزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه وأن الخير عندهم هو الذي أوجده العبد وفَعَله – على حدّ زعمهم –، كما أن دخوله الجنة عوض عمله، فأورثهم ذلك غرورًا وعُجبًا، وكما قال أبو سليمان الداراني: «كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعدّ العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية». «حلية الأولياء: ٩ / ٢٦٣».

– والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته يثمر الموقف الصحيح تجاه المكروهات والمصائب النازلة، فإن الإنسان ظلوم جهول، والله تعالى بكل شيء عليم، وهو سبحانه حَكَمٌ عدل، ولا يظلم تعالى أحدًا، قال سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ «البقرة: ٢١٦».

يقول ابن القيم رحمه الله: «من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقينًا أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يحب». «الفوائد: ص٨٥».

ويقول أيضًا: فكل ما تراه في الوجود – من شر وألم وعقوبة ونقص في نفسك وفي غيرك – فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه، وإن أجراه على يد ظالم، فالمسلَّط له أعدل العادلين، كما قال تعالى لمن أفسد في الأرض: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ «الإسراء: ٥». (مدارج السالكين: ١ / ٤٢٥).

وفي ختام هذه المقالة نسوق أمثلة من أسماء الله تعالى وبيان معانيها وما تقتضيه من العبادات، يقول الأصفهاني – أثناء حديثه عن اسم الله تعالى «الرزاق»: «الرزاق: المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وَسِعَ الخلق كلهم رزقه، فلم يخص بذلك مؤمنًا دون كافر، ولا وليًا دون عدو، ويرزق مَنْ عبده ومَن عبد غيره، والأغلب من المخلوق أن يرزق فإذا غضب منع، حكي أن بعض الخلفاء أراد أن يكتب جراية لبعض العلماء، فقال: لا أريده، أنا في جراية من إذا غضب علي لم يقطع جرايته عني، قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ «العنكبوت: ٦٠»، والمخلوق إذا رزق، فإنه يفنى ما عنده فيُقْطعُ عطاؤه عمن أفضل عليه، فإن لم يفن ما عنده فني هو وانقطع العطاء، وخزائن الله لا تنفد وملكه لا يزول». «الحجة في بيان المحجة ١ / ١٣٨».

ولما ذكر القرطبي من أسماء الله تعالى الحفيظ محتجًا بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ «الشورى: ٦»، قال: «يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله هو الحافظ لجميع الممكنات، وأعظم الحفظ: حفظ القلوب وحراسة الدين عن الكفر والنفاق وأنواع الفتن وفنون الأهواء والبدع ؛ حتى لا يزلّ عن الطريقة المثلى، قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ «إبراهيم: ٢٧».

ويجب علينا حفظ حدوده، وحفظ ما وجب علينا من حقوقه، فيدخل في ذلك: معرفة الإيمان والإسلام وسائر ما يتعين علينا علمه. «الأسنى، شرح أسماء الله الحسنى ١ / ٣١١».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التراجم

الحلقة الرابعة

العلامة الشيخ

عبد الرازق عفيفي

رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنكمل حديثنا حول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تميزه بالدقة واستقلال الشخصية

الحق أن كل قارئ لتعليقاته -رحمه الله- يلمس ذلك بجلاء، بل لا أبالغ حينما أقول: إنك واجد ذلك في كل تعليق له رحمه الله، فكلها تبين استقلال شخصيته العلمية والمنهجية والأصولية، وحينما يتأملها القارئ يجد الدقة بأجلى صورها.

وسأكتفي بنماذج قليلة محيلاً من أراد الاستطراد على أرقام الصفحات.

لقد كان -رحمه الله- حينما يذكر مسائل الخلاف يعلِّق مُبديًا رأيه، وشخصيته بأن الراجح كذا، أو الصحيح كذا، مرجحًا ومدللاً، ومعللاً ومفصلاً.

ففي مسألة التكليف بما لا يطاق، يعلق الشيخ -رحمه الله- فيقول: «الصحيح أن التكليف بما لا يُطاق لاستحالته عقلاً، أو عادة، غيرُ جائز، ولا واقع شرعًا، أما ما لا يطاق لما فيه من الحرج فقد يقع التكليف به إما عقوبة، وإما امتحانًا واختبارًا فقط».

ومن النماذج على ذلك: موقفه المتميز في مسألة الاحتجاج بخبر الواحد، فقد ذكر الآمدي حجج القائلين بإفادته العلمَ، ثم فنَّدها، فعلق الشيخ -رحمه الله- على ذلك، بقوله: «.. إلا أنه غير مسلَّم، فإنه قد يوجد من أخبار الآحاد ما يفيد بمجرده العلم، لكنه غير مطَّرد في كل خبر ولا لكل أحد؛ لتفاوت الرواة في صفات القبول، وتفاوت السامعين في المعرفة، وبُعد النظر ودقته».

والنماذج على ذلك أكثر من أن تُذكر في هذا المقام الموجز.

كما تبدو شخصيته -رحمه الله- بنقد الأقوال المرجوحة، والاستدلالات الضعيفة، والاستنباطات البعيدة، ونحو ذلك مما لا أجد مجالاً للإفاضة فيه، لكن سأكتفي بالإحالة إلى أرقام الصفحات كنماذج حية على ذلك. [انظر: ١ / ٣٥، ٧١، ٨٠، ١٢٨، ١٤٤، ٢٣٦، وغيرها].

المعلم السادس: ميله إلى التيسير والتسهيل وسلوكه مسلك الاختصار والوضوح:

وهذا المعلم وضَّاء في منهج الشيخ رحمه الله، فهو بعيد عن التكلف والإطالة، شغوف بالاختصار والوضوح، شديد الإنكار على مسالك المتكلمين والجدليين والمناطقة، وإليك بعض النماذج على ذلك:

١- ففي تعريف العلم والفقه حين ذكر الآمدي تعريفهما في أول كتابه، علق الشيخ -رحمه الله- على ذلك بقوله: «أولع الكثير بالتعاريف المتكلفة التي تورث العبارةَ غموضًا، والقارئَ لها حيرةً، ومن ذلك تعريف العلم والفقه ونحوهما مما ذكر المؤلف، ولذلك تراهم يحتاجون إلى شرح التعريف، وإخراج المحترزات، ويُكثرون من الاعتراض والجواب، ولا يكاد يخلص لهم تعريف من الأخذ والرد، والواقع أصدق شاهد».

وعلق بمثل ذلك عند تعريف القرآن.

وإذا ورد في المسائل الأصولية أمر يحتاج إلى توضيح بيَّنه بأيسر عبارة، وأوضح أسلوب بكلمات مختصرات مفيدات مصدَّرة بقوله: بيانه، أو توضيحه، أو نحوهما.

ومن النماذج على ذلك:

أن الآمدي رحمه الله في مبحث العلة المستنبطة مثَّل بقوله: «كتعليل وجوب الشاة في باب الزكاة بدفع حاجة الفقراء؛ لما فيه من رفع وجوب الزكاة». فعلق الشيخ -رحمه الله- على ذلك توضيحًا لمراد المؤلف، فقال: «بيانه: أن وجوب الشاة زكاة عن أربعين شاة، إذا كان المقصود منه مجرد دفع حاجة الفقراء، ولو ببذل القيمة، ارتفع وجوب

> الصحيح أن التكليف بما لا يطاق لاستحالته عقلاً أو عادة؛ غير جائز ولا واقع شرعًا، أما ما لا يطاق لما فيه من الحرج فقد يقع التكليف به إما عقوبة وإما امتحانًا واختبارًا له

معالم منهجه الأصولي

بقلم: د/ عبدالرحمن السديس

إمام الحرم المكي

الشاة على التعيين في الزكاة».

ولعل فيما سبق أكبر الشواهد على هذا المعلم، وإيثارًا للاختصار فسأكتفي بذكر أرقام الصفحات المبينة لنماذج أخرى في ذلك. [انظر: ١ / ٧، ١٦٠، ٢ / ٧١، ٣ / ٧٧، ١٩٠، ٢٤٤، ٢٨١، ٤ / ٢١، ٨٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٦٢، ١٩٨، ٢٢٧].

المعلم السابع: مجانبته التعصب والتقليد:

تبين مما سبق -لاسيما في المعلم الثاني- حرص الشيخ -رحمه الله- على الدليل، وتعظيمه للنصوص، وبناؤه منهجه الأصولي عليها؛ ولذلك كان -رحمه الله- بعيداً عن التعصب لمذهب أو الجمود على مشرب، أو التقليد للغير بدون دليل صحيح، أو نظر سليم.

وإذا كان للأصوليين آراء ومناهج بنوا عليها مسائلهم واستنباطاتهم، وسار عليها الخلف اقتداءً بالسلف، فإن الشيخ -رحمه الله- كان له تميزه في ذلك، فلم يتعصب لمدرسة أصولية - متكلمين أو غيرهم- ولم يُسلم عقله ومنهجه لمذهب فقهي لا يحيد عنه، كما عليه كثير من الفقهاء والأصوليين، لكنه -رحمه الله- جانَب ذلك كله، وجعل الدليل منهجه، والنظر الصحيح مسلكه، فجاء منهجه متميزًا بمجانبة التعصب والتقليد المجرد، وهذه بعض النماذج على ذلك:

١- في محاولة الآمدي -رحمه الله- أن يقصر الرد للكتاب والسنة على المجتهدين فقط، وهو يومئ -ولو من طرف خفي- للتقليد للمذاهب، دون رجوع مباشر إلى الوحيين.

علق الشيخ -رحمه الله- على ذلك بقوله: «.. إن وجوب الرد إلى الله والرسول لم يُخَصّ بحالٍ، ولا زمن، ولا بأحد، فيجب بقاؤه على عمومه، ولا يخرج منه إلا الرد إليه بسؤاله بعد وفاته لتعذره، وإلا من عجز عن الرد إليه لضعف استعداده أو مؤهلاته فلا يُكلَّف ذلك..». وهو ظاهر في اتباع الدليل وطلبه من كل أحد. ويتجلى هذا المعلم كثيرًا في مبحث الاجتهاد والتقليد عند الأصوليين يمثلهم الآمدي رحمه الله، فكان الشيخ -رحمه الله- يعلق على المسائل الخاصة بذلك، مما يؤكد هذا المنهج بجلاء.

خذ على سبيل المثال:

أول تعليق في باب التقليد أحال الشيخ -رحمه الله- القارئ إلى كلام المحققين من أهل العلم في هذه المسألة، الذين حققوا مناطها، وفصّلوا القول فيها حسب قوة الدليل وسلامة التعليل، وحذروا من التعصب والتقليد. [تعليق رقم ١، ٤ / ٢٢١ منه].

وفي التعليق الثاني فصل الشيخ -رحمه الله- في مسألة من يجوز له التقليد ممن يحرم عليه. [كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، انظر: ١٩ / ٢٦٠، ٢٠ / ١٥ من مجموع الفتاوى، وكالعلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين ج٢، أثناء كلامه عن التقليد وعقده مناظرة بين مقلد وصاحب حجة].

وفي التعليق الرابع حثَّ على الدليل، وعظَّم السنة، وعدَّ مساواتها بالإجماع تسامحًا أو تحريفًا كما أورده المصنف، رحمه الله. [٤ / ٢١١، وانظر: تعليق رقم ٤].

وفي التعليق الخامس لما سوَّى المصنف بين التقليد والاتباع والاستفتاء، وعدها خلافًا في عبارة، علق الشيخ -رحمه الله- بقوله: «ليس هذا مجرد اختلاف في العبارة والاصطلاح، بل الاختلاف بين حقائق ومدلولات تلك العبارات، يتبعه اختلاف في حكم بعضها، واتفاق على حكم بعض آخر». [تعليق رقم ٥، ٤ / ٢٢١].

وفي مسائل الاجتهاد فصَّل الشيخ الكلام فيها بقول نفيس خلاصته: أنه لا يخلو منه زمان، وأنه لا ينقطع. [تعليق رقم ٢، ٤ / ٢٣].

وتلك دعوة إلى تحرِّي الحق في مسائل الاجتهاد، والنظر فيها على حسب أدلة وقواعد الشريعة الغراء.

ولعله بذلك قد تبين حرص الشيخ -رحمه الله- على تحقيق هذا المعلم المهم؛ حرصًا على ما دل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح، بعيدًا عن التعصب والتقليد، وفتحًا لباب الاجتهاد بالضوابط الشرعية والشروط المرعية.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

> حرص الشيخ - رحمه الله - على الدليل وتعظيمه للنصوص، وبناؤه منهجه الأصولي عليها، ولذلك كان - رحمه الله - بعيداً عن التعصب لمذهب أو الجمود على مشرب أو التقليد للغير بدون دليل صحيح أو نظر سليم

شهر الله المحرم
فضائل وأحكام

إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

وبعد:

فإن شهر الله المحرّم شهر عظيم مبارك، وهو أول شهور السنة الهجرية وأحد الأشهر الحُرُم التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلهن حرامًا، وعظَّم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم.

وقال قتادة -رحمه الله- في قوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها.

وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظّم من أمره ما يشاء، وقال: «إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظِّموا ما عظّم الله، فإنما تُعَظّم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل»[مل خصًا من تفسير ابن كثير: تفسير سورة التوبة آية ٣٦].

وعن النبي ﷺ: «السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» [البخاري ٥٥٥٠، مسلم ١٦٧٩]. والمحرم سُمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا وتأكيدًا لتحريمه.

أولاً: الحكمة في تسمية المحرّم شهر الله؟!

قال الإمام السيوطي-رحمه الله-: «قَالَ الْحَافِظ أَبُو الْفَضْل الْعِرَاقِيّ فِي شَرْح التِّرْمِذِيّ: مَا الْحِكْمَة فِي تَسْمِيَة الْمُحَرَّم شَهْر اللَّه وَالشُّهُور كُلّهَا لِلَّه؟! يَحْتَمِل أَنْ يُقَال: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ الْأَشْهُر الْحُرُم الَّتِي حَرَّمَ اللَّه فِيهَا الْقِتَال، وَكَانَ أَوَّل شُهُور السَّنَة أُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَة تَخْصِيص، وَلَمْ يَصِحّ إِضَافَة شَهْر مِنْ الشُّهُور إِلَى اللَّه -تَعَالَى- عَنْ النَّبِيّ ﷺ إِلاَّ شَهْر اللَّه الْمُحَرَّم». [شرح سنن النسائي ١٦١٣].

ثانياً: فضل الإكثار من صيام النافلة في شهر المحرّم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ» [مسلم ٨٢١].

قال الإمام النووي- رحمه الله -: قَوْله ﷺ :(أَفْضَل الصِّيَام بَعْد رَمَضَان شَهْر اللَّه الْمُحَرَّم): تَصْرِيح بِأَنَّهُ أَفْضَل الشُّهُور لِلصَّوْمِ. [شرح مسلم للنووي ٨ / ٥٤].

ثالثاً: عاشوراء وفضل صيامه

هو اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى (من الغرق، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-:

قَدِمَ النَّبِيُّ £ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ» في رواية مسلم «: «هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فيه مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ» هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى،» زاد مسلم في روايته: " شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ " وفي رواية للبخاري: " وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ» قال: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» وفي رواية للبخاري أيضًا: «فَقَالَ النَّبِيُّ £ : لأَصْحَابِهِ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا». [البخاري ٢٠٠٤، ومسلم ١١٣٠].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ £ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلاَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ» [البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢].

مَعْنَى «يَتَحَرَّى» أَيْ يَقْصد صَوْمه لِتَحْصِيلِ ثَوَابه وَالرَّغْبَة فيه. [فتح الباري ٤ / ٢٤٥].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه مرفوعًا... «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». [مسلم ١١٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وَتَكْفِيرُ الطَّهَارَةِ، وَالصَّلاَةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَعَرَفَةَ، وَعَاشُورَاءَ لِلصَّغَائِرِ فَقَطْ، وَكَذَا الْحَجُّ؛ لأَنَّ الصَّلاَةَ وَرَمَضَانَ أَعْظَمُ مِنْهُ». [الفتاوى الكبرى ٤ / ٤٢٨، والاختيارات ص ٦٥].

وقال الإمام النووي -رحمه الله-: «قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ -رحمه الله-: «وَكُلُّ مَا يَرِدُ فِي الأَخْبَارِ مِنْ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ فَهُوَ عِنْدِي مَحْمُولٌ عَلَى الصَّغَائِرِ دُونَ الْمُوبِقَاتِ؛ هَذَا كَلاَمُهُ».

قلت: وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مَا يُؤَيِّدُهُ، فَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ: «مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلاَّ كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» [مسلم: ٢٢٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ £ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» [مُسْلِم: ٢٣٣].

وَعَنْ النَّبِيِّ £ كَانَ يَقُولُ: «الصلوات الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مِنْ الذُّنُوبِ إِذَا اُجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ» [مُسْلِم ٢٣٣].

قُلْتُ: وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الأَحَادِيثِ تَأْوِيلاَنِ:



أَحَدُهُمَا: «يُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ بِشَرْطِ أَنْ لاَ يَكُونَ هُنَاكَ كَبَائِرُ، فَإِنْ كَانَتْ كَبَائِرَ لَمْ يُكَفِّرْ شَيْئًا لاَ الْكَبَائِرَ وَلاَ الصَّغَائِرَ.

وَالثَّانِي وَهُوَ الأَصَحُّ الْمُخْتَارُ: أَنَّهُ يُكَفِّرُ كُلَّ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ، وَتَقْدِيرُهُ: يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا إِلاَّ الْكَبَائِرَ».

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ -رحمه الله-: «هَذَا الْمَذْكُورُ فِي الأَحَادِيثِ -مِنْ غُفْرَانِ الصَّغَائِرِ دُونَ الْكَبَائِرِ- هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَنَّ الْكَبَائِرَ إِنَّمَا تُكَفِّرُهَا التَّوْبَةُ، أَوْ رَحْمَةُ اللَّهِ».

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هَذِهِ الأَلْفَاظُ، وَوَقَعَ فِي الصَّحِيحِ غَيْرُهَا مِمَّا فِي مَعْنَاهَا، فَإِذَا كَفَّرَ الْوُضُوءُ فَمَاذَا تُكَفِّرُهُ الصَّلاَةُ؟ وَإِذَا كَفَّرَتِ الصَّلَوَاتُ فَمَاذَا تُكَفِّرُهُ الْجُمُعَاتُ وَرَمَضَانُ؟ وَكَذَا صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ سَنَتَيْنِ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةُ سَنَةٍ، وَإِذَا وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

فَالْجَوَابُ مَا أَجَابَ بِهِ الْعُلَمَاءُ: «أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ صَالِحٌ لِلتَّكْفِيرِ، فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكَفِّرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ كَفَّرَهُ، وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ وَرُفِعَتْ لَهُ بِهِ دَرَجَاتٌ، وَذَلِكَ كَصَلَوَاتِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالصِّبْيَانِ وَصِيَامِهِمْ وَوُضُوئِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَاتِهِمْ، وَإِنْ صَادَفَ كَبِيرَةً أَوْ كَبَائِرَ وَلَمْ يُصَادِفْ صَغَائِرَ، رَجَوْنَا أَنْ تُخَفِّفَ مِنْ الْكَبَائِرِ». [شرح مسلم للنووي ٨ / ٥٤].

رابعًا: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا

وبهذا قال الشافعي وأحمد وإسحاق وآخرون: «يُستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا؛ لأن النبي £ صام العاشر، ونوى صيام التاسع. وَعَلَى هَذَا فَصِيَامُ عَاشُورَاءَ عَلَى ثَلاَثِ مَرَاتِبَ: الأُولَى: أَدْنَاهَا أَنْ

يُ
صَامَ وَحْدَهُ. الثانية: وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ مَعَهُ.
الثالثة: وَفَوْقَهُ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وكلّما كثر الصيام في المحرّم كان أفضل وأطيب». [فتح الباري لابن حجر ٦ / ٢٨٠].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى-: «مراتب صومه ثلاث: أكملها أن يصام قبله يوم وبعده يوم» [زاد المعاد ٢ / ٧٥].

وهذا لأن النبي £ صام العاشر ونوى صيام التاسع:

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» [مسلم ١١٣٤].

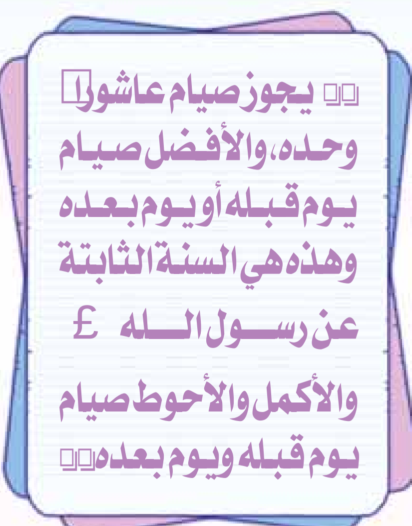
قال الإمام النووي -رحمه الله-: «وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ فِي حِكْمَةِ اسْتِحْبَابِ صَوْمِ تَاسُوعَاءَ أَوْجُهًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ مُخَالَفَةُ الْيَهُودِ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى الْعَاشِرِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ وَصْلُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ بِصَوْمٍ، كَمَا نَهَى أَنْ يُصَامَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَحْدَهُ، ذَكَرَهُمَا الْخَطَّابِيُّ وَآخَرُونَ.

الثَّالِثُ: الاحْتِيَاطُ فِي صَوْمِ الْعَاشِرِ خَشْيَةَ نَقْصِ الْهِلالِ، وَوُقُوعِ غَلَطٍ فَيَكُونُ التَّاسِعُ فِي الْعَدَدِ هُوَ الْعَاشِرُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ». [المجموع ٦ / ٤٣٣-٤٣٤].

قلت: وأقوى هذه الأوجه هو مخالفة أهل الكتاب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «نَهَى £ عَنْ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي عَاشُورَاءَ: «لَئِنْ عِشْتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» [مسلم ١١٣٤]. [الفتاوى الكبرى ج٦، سد الذرائع المفضية إلى المحارم].



خامسًا: حكم إفراد عاشوراء بالصيام:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةُ سَنَةٍ، وَلا يُكْرَهُ إفْرَادُهُ بِالصَّوْمِ» [الفتاوى الكبرى ج٥].

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: «عَاشُورَاءُ لاَ بَأْسَ بِإِفْرَادِهِ». [تحفة المحتاج ج٣ باب صوم التطوع].

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٣٧٠٠) (١٢ / ٤٨٨)، ونصه: هل يجوز صيام عاشورا يومًا واحدًا فقط؟

فأجابت: يجوز صيام يوم عاشوراء يومًا واحدًا فقط، لكن الأفضل صيام يوم قبله أو يوم بعده، وهي السنة الثابتة عن النبي £ قوله: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»، قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: (يعني مع العاشر). وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سادسًا: أيهما أفضل: يوم عرفة أم يوم عاشوراء؟

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: «رَوَى مُسْلِم مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا «إِنَّ صَوْمَ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً، وَإِنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ»، وَظَاهِرُهُ أَنَّ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ: إِنَّ يَوْمَ عَاشُوراءَ مَنْسُوبٌ إِلَى مُوسَى (وَيَوْمَ عَرَفَةَ مَنْسُوبٌ إِلَى النَّبِيِّ £ فَلِذَلِكَ كَانَ أَفْضَلَ». [فتح الباري ٤ / ٣١٥].

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «فإن قيل: لم كان عاشوراء يكفّر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين؟ قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام، وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام، بخلاف عاشوراء.

الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا، بخلاف عاشوراء، فضُوعف ببركات المصطفى £ ». [بدائع الفوائد (م٢ / ج٤ / ص ٢٩٣)].

سابعًا: من صام عاشوراء وعليه قضاء من رمضان

اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ التَّطَوُّعِ بِالصَّوْمِ قَبْلَ قَضَاءِ رَمَضَانَ.

فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى جَوَازِ التَّطَوُّعِ بِالصَّوْمِ قَبْلَ

قَضَاءِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ؛ لِكَوْنِ الْقَضَاءِ لا يَجِبُ عَلَى الْفَوْرِ.

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ إِلَى الْجَوَازِ مَعَ الْكَرَاهَةِ؛ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَأْخِيرِ الْوَاجِبِ، قَالَ الدُّسُوقِيُّ: يُكْرَهُ التَّطَوُّعُ بِالصَّوْمِ لِمَنْ عَلَيْهِ صَوْمٌ وَاجِبٌ، كَالْمَنْذُورِ وَالْقَضَاءِ وَالْكَفَّارَةِ.

سَوَاءٌ كَانَ صَوْمُ التَّطَوُّعِ الَّذِي قَدَّمَهُ عَلَى الصَّوْمِ الْوَاجِبِ غَيْرَ مُؤَكَّدٍ، أَوْ كَانَ مُؤَكَّدًا، كَعَاشُورَاءَ وَتَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى الرَّاجِحِ.

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى حُرْمَةِ التَّطَوُّعِ بِالصَّوْمِ قَبْلَ قَضَاءِ رَمَضَانَ، وَعَدَمِ صِحَّةِ التَّطَوُّعِ حِينَئِذٍ وَلَوْ اتَّسَعَ الْوَقْتُ لِلْقَضَاءِ، وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَ بِالْفَرْضِ حَتَّى يَقْضِيَهُ. [الموسوعة الفقهية ج٢٨: صوم التطوع].

قلت: فعلى المسلم أن يبادر إلى القضاء بعد رمضان؛ ليتمكن من صيام عرفة وعاشوراء دون حرج، ولو صام عرفة وعاشوراء بنية القضاء من الليل أجزأه ذلك في قضاء الفريضة، وفضل الله عظيم.

ثامنًا: عدم الاغترار بثواب الصيام

يَغْتَرُّ بَعْضُ الْمَغْرُورِينَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى مِثْلِ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: صَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلَّهَا، وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الأَجْرِ.

قَالَ الإمام ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله-: «لَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ، فَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ لا يَقْوَيَانِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ إِلاَّ مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ.

وَمِنْ الْمَغْرُورِينَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ طَاعَاتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مَعَاصِيهِ؛ لأَنَّهُ لا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَلا يَتَفَقَّدُ ذُنُوبَهُ، وَإِذَا عَمِلَ طَاعَةً حَفِظَهَا وَاعْتَدَّ بِهَا، كَالَّذِي يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ أَوْ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَغْتَابُ الْمُسْلِمِينَ وَيُمَزِّقُ أَعْرَاضَهُمْ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا لا يَرْضَاهُ اللَّهُ طُولَ نَهَارِهِ، فَهَذَا أَبَدًا يَتَأَمَّلُ فِي فَضَائِلِ التَّسْبِيحَاتِ وَالتَّهْلِيلاتِ، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا وَرَدَ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُغْتَابِينَ وَالْكَذَّابِينَ وَالنَّمَّامِينَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ، وَذَلِكَ مَحْضُ غُرُورٍ». [الجواب الكافي / ١٣، وانظر الموسوعة الفقهية ج٣١: غرور].

وتأمل أخي دورة الأيــام

واستوحش من سرعة انقضائها، فها نحنُ كنا من أيام نستقبل شهر رمضان، ثم ما أسرع أن انقضى؛ فاستقبلنا عشر ذي الحجة ويوم عرفة، وما أدراك ما يوم عرفة؟! ثم ما أسرع أن انقضى! وها نحنُ قد استقبلنا شهر الله المحرم، ويوم عاشوراء، فالبدار البدار قبل فوات الأوان.

وافزع إلى التوبة وصدق الالتجاء إلى الله (، وَوَطِّنْ أيها الحبيب نفسك على الطاعة وألزمها العبادة؛ فإن الدنيا أيام قلائل.

واعلم أنه لا يهدأ قلب المؤمن، ولا يسكن روعه حتى تطأ قدمه الجنة.. فسارع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وجنِّب نفسك نارًا تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى.. وعليك بحديث الرسول £ : «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» [مسلم ٢٨١٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ £ قَالَ: «اطْلُبُوا الْخَيرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ الله، فإنَّ لله نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ» [الرَّوع: الفزع، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٢، رقم ١١٢١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠].

هذا وما توفيقي إلا بالله وهو من وراء القصد.

من الغرور أن يظن العبد أن طاعاته أكثر من معاصيه، وما ذلك إلا لأنه يحفظ طاعاته وينسى معاصيه ولا يتفقدها، أحصاه الله ونسوه



أسباب الغفلة

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

قلنا في العدد الماضي إن الغفلة سهوٌ يعتري العبد من قلة التحفظ والتيقظ، وأنها تصيب العبد بأنواع من التبلد وقلة الإحساس، حتى لا يشعر أنه بدَّل وغيَّر أو تغير، فيرضى عن نفسه وهو متقلب في الغفلة، وقد انغمس في الدنيا وشهواتها ونسي الآخرة، لدرجة أن قلبه صار لا يفقه، وعينه لا ترى، وأذنه لا تسمع، فقد عطَّل جوارحه، وحرم نفسه الانتفاع بها، وعند ذلك اجتهد في تعمير دنياه، وتخريب أخراه، فكرِه لقاء الله واليوم الآخر؛ لأنه يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب، فضيَّع نفسه بذلك.

والحقيقة أن لهذه الغفلة أسبابًا ينبغي أن نعرفها؛ حتى نتمكن من تحديد الداء لمعرفة الدواء..

فنقول: إن للغفلة أسبابًا كثيرة، منها ما يلي:

أولاً: الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته:

فالجهل نقيض العلم، والجهل ظلمة، والظلمة تحيط بالقلب، فيَعُمّه سواد يحجبه عن الله تعالى، وعظمته وعلمه وحكمته، فالجهل بالله أول الآفات، وعنوان المخالفات، ورأس الشقاوات، وإن أهل الجهل بالله لفي قولٍ مُختلفٍ مضطرب، لا تجد قلوبهم تأتلف على شيء، فقلوبهم متشعبة، ونياتهم مختلفة، وهِمَمهم دنية.

فالجهل بالله وشرائعه ووعده ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض. وكثير من الناس يعتقدون أن الله تعالى هو ربهم، ولكن ينقصهم العلم بأن الله معهم حيث ما كانوا، يطّلع عليهم، ويعلم سرهم ونجواهم، ويعلم مستقرهم ووقع خطاهم، قال الله تعالى ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

وينقصهم العلم بأن الله تعالى يراهم أينما كانوا، وأن الله شديد العقاب. وينقصهم العلم بأن الله يثيب ويعاقب، وأنه شديد العذاب، كثير الثواب، ولما جهلوا عقاب الله لم يبالوا ما فعلوا من المعاصي، وجهلوا مراقبة ربهم لهم؛ فلم يهمهم ما وقعوا فيه، وجهلوا عظمته وكبرياءه فلم يخافوه، ولم يحبوه، ولم يرجوه، وجهلوا ما أُمروا به فلم يمتثلوا ما نُهوا عنه، ولم ينزجروا، وكلما زاد الجهل كان العبد أكثر جرأة على حدود الله ومحارمه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والقرآن الكريم يندِّد بالجهل وأهله، ويحذِّر منه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ إلى

غير ذلك من الآيات التي تدل على ذم الجهل بالله والجهل بدينه.

فإذا كثر الجهل وعم؛ كثر الإشراك بالله، وكثرت البدع والمنكرات، والأمور المكفرات؛ لبُعْد أصحابها وإعراضهم عن تعلم دين الله تعالى.

إن الذين لا يعرفون الله تعالى حق معرفته يعصونه، بل يكرهونه؛ لأنهم يعبدون الشيطان من دونه، وقد حذر الله عباده من هذا المسلك، فقال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١].

وقال ابن القيّم -رحمه اللّه تعالى-: «أهل الجهل والظلم الّذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النّبيّ ﷺ والظلم باتّباع أهوائهم الّذين قال اللّه تعالى فيهم: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [النجم: ٢٣].

وهؤلاء قسمان: أحدهما: الّذين يحسبون أنّهم على علم وهدى، وهم أهل الجهل والضّلال، فهؤلاء أهل الجهل المركّب الّذين يجهلون الحقّ، ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨]، فهم لاعتقادهم الشّيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السّراب الّذي ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩].

وهكذا هؤلاء.. فأعمالهم وعلومهم بمنزلة السّراب الّذي يكون صاحبه أحوج ما هو إليه، ولم يقتصر على مجرّد الخيبة والحرمان، كما هو الحال فيمن أمّ السّراب، فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنّه وجد عنده أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين سبحانه وتعالى، فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفّاه إيّاه بمثاقيل الذّرّ، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباء منثورًا؛ إذ لم يكن خالصًا لوجهه، ولا على سنّة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشّبهات الباطلة الّتي كان يظنّها علومًا نافعة كذلك هباءً منثورًا، فصارت أعماله وعلومه هباء منثورًا كذلك.

والقسم الثّاني من هذا الصّنف: أصحاب الظّلمات، وهم المنغمسون في الجهل؛ بحيث قد أحاط بهم من كلّ وجه، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضلّ سبيلاً، فهؤلاء أعمالهم الّتي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرّد التّقليد واتّباع الآباء من غير نور من اللّه تعالى، كظلمات عديدة، وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظّلم واتّباع الهوى، وظلمة الشّكّ والرّيب، وظلمة الإعراض عن الحقّ الّذي بعث اللّه تعالى به رسله صلوات اللّه وسلامه عليهم» ا.هـ.

ومن غفلة هؤلاء الجهلة الضُّلال: ادعاؤهم أن قبرَ فلانٍ التِرياقُ المجرَّبُ في إجابة الدعوة، وكشف الشدة، وإزالة الكربة، وطمس الغمة؛ فخضعوا للقبور، ودعوا من فيها، واعتقدوا فيهم النفع وكشف الضر، وسألوهم كما يُسأل الحي القيوم، فما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه سبحانه، ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤].

ومن غفلة هؤلاء الجهلة الضلال

أولاً: زعمهم أن شرع الله لا يصلح لهذه الأزمان:

بل يصلح في عهد الخيمة والبعير، أما في عهد الطائرة والصاروخ والإنترنت، فلا يصلح هذا الدين، ويرون أن شرع الله قاصر، وحكم الله لا يصلح لحل مشاكل البشر!!

ثانيًا: الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها:

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ. أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧ :٨]، وقال جل وعلا: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا». [مسلم ١٠٥٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبغض كل جعظري جواظ، سخاب بالأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة» [ابن حبان (١ / ٢٧٣، رقم ٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٧٨].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ» [الترمذي ٢٤٦٥، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٤٩].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» [البخاري ٦٤١٦].

فتعالوا نتدبر هذا المثل الذي ضربه الله كي نستفيد منه، يقول الله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا... ﴾ الآيات [الكهف: ٣٢-٤٤].

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ ﴾ أي بين رجل من أهل الغفلة، ورجل من أهل الإيمان، ﴿ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا ﴾، أما المؤمن فقد آمن ورضي بالله ربًا فأحبه وأطاعه، وأما الذي يحتاج إلى مزيد من النعم كي يؤمن فهو الكافر، فحين يقول: ﴿ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا ﴾ أي للرجل الكافر؛ كي يستبين له فضل الله ونعمه فيؤمن، كما قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وانظر إلى فضل الله وعطائه ﴿ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾، والجنة من الاجْتِنَانِ وهو السَّتْر لِتَكَاثُفِ أشجارها، وتَظْلِيلِها بالْتِفَافِ أغْصَانِهَافكأن الجنتين سترت أوراقها - لشدة التفافهما - ما بالجنتين، فلا يرى مَن بخارجها ما بداخلها.

وهاتان الجنتان من أعناب أي كرم العنب، وفي هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصًا أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حفّ بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تنمو بها الثمار وتنضج، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعًا.

فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف كانت ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، ولم تكتم شيئًا من خيرها، أي لم تنقص من أكلها أدنى شيء، ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة، فقد اجتمعت له جملة من النعم.. بستانين من العنب والفاكهة، وزينهما بالشجرة الطيبة المثمرة التي ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وكانت هاتان الجنتان فيهما زيادة على ذلك الزرع، وهو القوت الضروري الذي لا غنى عنه، فقد جمعت كل أصناف النعم والخير، وبارك الله ثمارها كثرةً وغزارة ونماء، وفجّر الأنهار فيها في كل جوانبها، وزيادة على ذلك كانت خزائنه ممتلئة بالمال ذهبًا وفضة، فماذا قال بعد كل هذه النعم، هل شكرها؟ أم ماذا قال؟ ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا ﴾، بعد كل هذه النعم يقول أنا، أنت من؟ أنت الذي إذا جعت اشتكيت، وإذا شبعت اشتكيت، إن قل مالك اشتكيت، وإن زاد اشتكيت، إن تزوجت اشتكيت، وإن لم تتزوج اشتكيت، إن رُزقت الولد اشتكيت، وإن حرمت اشتكيت، إن علا منصبك اشتكيت، وإن دنا اشتكيت، فلا راحة في الدنيا:

فبدلاً من أن يشكر ربه إذا به يقول أنا، ويا ليته افتخر بشيء يستحق الافتخار، ولكنه قال: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً ﴾، والمال عرض زائل، واسمه يدل عليه.

ودخل الغني الغافل يفاخر بماله وعشيرته ونفره إلى بستانه، ورأى ما هو عليه من حسن وبهاء، وثمار

وخصب، وزينة وازدهار، فاغتر بالدنيا وزينتها، وظنها تدوم له ولا تفنى، فقال لصاحبه المؤمن: ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدًا، ولا أن تخرب، ثم قاده غروره إلى الكفر بالله والدار الآخرة والمعاد، فقال: إنه لا يظن أن يكون هناك حشر، ولا معاد، ولا حساب، ثم زاد غروره فقال: إن كان هناك ساعة وحشر، وبعث ونشور، وقيامة ومعاد إلى الله، فإنه سيجد عند الله خيرًا من هذا البستان؛ لأنه يزعم أن سعيد الدنيا سعيد الآخرة ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وعند ذلك انبرى له صاحبه المؤمن يعظه ويزجره عما هو عليه من الكفر والغي والاغترار: ما هذا الذي تقول أكفرتَ بالله الذي خلقك من سلالة من طين، ثم جعل نسلك من ماء مهين، ثم سواك رجلاً قويًا بالغًا؟ لقد كان الأولى بك أن تحمد الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد، وبدلاً من أن تقول ما قلت أن تقول: ما شاء الله لا قوة لي على تحصيله إلا بمعونة الله، ومع أني وأنت تراني أفقر منك، وأقل منك مالاً وولدًا، فإني أرجو الله تعالى أن يعوضني خيرًا، وأن يرزقني ربي الغنى والولد لإيماني وإخلاصي لله، وأن يرزقني جنة تكون خيرًا من جنتك، وأن يسلب منك ما أنعم به عليك؛ فيخرب عليك جنتك بأن يرسل عليها مطرًا من السماء، يدمر زروعها، ويقتلع أشجارها، فتصبح بلقعًا قفرًا لا تُنبت شيئًا، أو يغور ماؤها في الأرض ويتوارى، فلا تستطيع العثور عليه لإخراجه لسقيها، فتموت الأرض، وتُحرم خيرها فترجع فقيرًا.

ونزلت الكوارث والمصائب التي حذر منها المؤمن، وأحيط بثمار جنته التي كان يقول: إنه لا يظن أن تبيد أبدًا، فقد حلّ بها ما كان يحذره منه صاحبه المؤمن من دمار وغور ماء، فأصبحت الجنة بلقعًا قفرًا خاوية على عروشها، ولكن الغرور ما يزال به حتى أنفق عليها ما كان يدخره من ذهب وفضة مما امتلأت به خزائنه حتى أتى على آخره، فأخذ يضرب كفًا بكفٍ أسفًا وندمًا وحزنًا على ما حلَّ بها، وعلى ما أنفق عليها من مال، وهي كما هي خراب لم تثمر، ويقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا.

ومع تندمه لم ينفعه الندم؛ لأنه تحسر على ضياع الخير والنعم التي كان فيها، ولم يتحسر على كفره؛ تعظيمًا لله وندمًا على ذلك، فلم يكن ندمه توبة، وإنما كان متحسرًا على ما فاته من النعم.

لقد أطبقت الغفلة على أهل الدنيا، فحرمتهم أفضل ما فيها من التوحيد ومحبة الملك، الفعال لما يريد، وأوقعتهم في الوحل وفتنتهم، وأغرقتهم في الحطام الفاني؛ فلم يفيقوا منها إلا على دمار وضياع، ولكن بعد فوات الأوان.

أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الحق المبين، وأن يعافينا وإياكم من الغفلة، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنه علي كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تنبيه هام

نود التنبيه على قراء المجلة الكرام أنه قد زاد الاشتراك السنوي الداخلي من ٢٠ جنيهاً إلى ٢٥ جنيهاً وذلك نظراً لارتفاع التخليص البريدي.
وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

الشيعة وأقوال العلماء

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية قد أطلت برأسها من جديد، فراحت تنفث سُمّها وعقائدها الباطلة، ولأن البعض من أهل السنة قد انخدع بعقائدهم الفاسدة وشعاراتهم الباهتة، فكان لزامًا علينا أن نبيِّن بعضًا من أقوال أهل العلم فيهم في القديم والحديث، لاسيما أنهم خدعوا البعض بشعار حُبِّ أهل البيت، ودخلوا تحت عباءة الصوفية وفي أحضانها. فهذه الفرقة لها عدة أسماء.. منها:

١- الرافضة؛ لأنهم رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، بالإضافة إلى سبّهم لأصحاب النبي ﷺ.

٢- الاثنا عشرية؛ لاعتقادهم بإمامة اثني عشر إمامًا، آخرهم حبيس السرداب، وهو محمد بن الحسن العسكري.

٣- الإمامية؛ لأنهم جعلوا الإمامة ركنًا خامسًا من أركان الإسلام.

٤- الجعفرية: وذلك لنسبتهم إلى الإمام جعفر الصادق، وهو الإمام السادس عندهم، وقد كان -رحمه الله- من فقهاء عصره، ونُسبوا إليه كذبًا وزورًا فقه هذه الفرقة.

٥- الشيعة: ذلك لأنهم شايعوا عليًّا رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وإمامة أولاده من بعده؛ حيث لا تخرج الإمامة عنهم.

والأئمة عندهم على الترتيب كما يلي:

١- علي بن أبي طالب، ويلقبونه بالمرتضى، وكنيته أبو الحسن.

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب، ويلقبونه بالمجتبى، وكنيته أبو محمد.

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقبونه بالشهيد، وكنيته أبو عبد الله.

٤- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويلقبونه بالسَّجَّاد، وكنيته أبو محمد.

٥- محمد بن علي بن الحسين، ويلقبونه بالباقر، وكنيته أبو جعفر.

٦- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، ويلقبونه بالصادق، وكنيته أبو عبد الله.

٧- موسى بن جعفر بن محمد، ويلقبونه بالكاظم، وكنيته أبو إبراهيم.

٨- علي بن موسى بن جعفر، ويلقبونه بالرضي، وكنيته أبو الحسن.

٩- محمد بن علي بن موسى، ويلقبونه بالتقي، وكنيته أبو جعفر.

١٠- علي بن محمد بن علي، ويلقبونه بالتقي، وكنيته أبو الحسن.

١١- الحسن بن علي بن محمد، ويلقبونه بالزكي أو العسكري، وكنيته أبو محمد.

١٢- محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالمهدي، أو الحجة القائم المنتظر، أو الحجة الغائب، وكنيته أبو القاسم، وهو مهديهم المنتظر الذي دخل سردابًا في دار أبيه بسُرَّ مَن رَأى، المعروفة بسامراء، ولم يخرج إلى الآن.

ولعلك تلاحظ أنهم حصروا الإمامة في ذرية الحسين فقط، دون الحسن، فإن سألت لماذا؟ فذلك لأن أسيادهم اليهود حصروا الملك في ذرية داود عليه السلام، فهم صنوان يسقى بماء واحد.

وحيث إن الشيعة الإمامية هي أشد الفرق خطرًا؛ وذلك لأن لهم دولة تحميهم، وتحمل وتنشر معتقداتهم، ومعها ربيبها اللبناني حزب اللات الذي خدع كثيرًا من الناس، نسوق إليك أخي بعضًا من أقوال علماء الأمة في تلك الفرقة الهالكة:

١- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا، يكذبون علينا، مارقة، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر».

٢- نال رجل من عائشة عند عمار بن ياسر، رضي الله عنهم جميعًا؛ فقال له عمار: «اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ». [رواه الترمذي ٣٨٨٨ بإسناد حسن].

٣- قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله-: «الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل لأهل الرأي، والكذب للرافضة».

٤- قال سفيان الثوري عندما

سأله إبراهيم بن المغيرة: أيصلى خلف من يسب أبا بكر وعمر؟ قال: لا.

٥- قال الزهري: «ما رأيت قومًا أشبه بالنصارى من السبئية».

٦- قال سفيان بن عيينة: «لا تصلوا خلف الرافضة، ولا خلف الجهمي، ولا خلف القدري والمرجئ».

٧- قال علقمة بن قيس النخعي: «لقد غلت الشيعة في عليّ، كما غلت النصارى في عيسى ابن مريم».

٨- قال يزيد بن هارون الواسطي: «يُكتب عن كل مبتدع إذا لم يكن داعية لبدعته، إلا الرافضة؛ فإنهم يكذبون».

٩- قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «لا حظّ للرافضي في الفيء والضحية»، وأضاف -رحمه الله-: «عاشرت الناس، وكلّمت أهل الكلام، فما رأيت أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أخفّ صحبة، ولا أحمق من الرافضة».

قال الإمام الأعمش: «أدركت الناس وما يسمون الرافضة إلا بكذابين».

١٠- قال الإمام مالك بن أنس حينما سُئل عن الرافضة: «لا تكلمهم، ولا ترد عنهم؛ فإنهم يكذبون».

١١- وقال الشافعي رحمه الله: «لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة».

١٢- وسُئل الإمام أحمد -رحمه الله- عمن سبَّ أصحاب النبي ﷺ، فقال: «لا نأمن أن يكون قد مرق من الدين، وما أُرَاهُ على الإسلام، فليس من الإسلام في شيء».

١٣- وقال شيخ المحدثين البخاري -رحمه الله-: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصراني، فهم لا يُناكحون ولا يُزَارون، ولا يُسلَّم عليهم، ولا تُشهد جنائزهم، ولا تؤكل ذبيحتهم؛ لأنهم على غير ملة الإسلام».

١٤- وذُكر عن الآجري -رحمه الله- قوله: «إن الرافضة أسوأ الناس حالة، وأنهم كذبة فجَرة، وإن عليًّا وذريته الطيبة أبرياء مما تنسبه الرافضة إليهم، فهم الأنجاس الأرجاس».

١٥- وأفتى أحمد بن يونس أن ذبيحة اليهودي تؤكل، وذبيحة الرافضي لا تؤكل؛ وذلك لردته عن دين رب العالمين.

١٦- وسُئل الإمام الفريابي عمن سبَّ أبا بكر وعمر، أيصلى عليه بعد موته؟ قال: «لا تمسوه بأيديكم، وارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته، فما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة».

١٧- وذُكر عن القاضي عياض أنه قطع بتكفير غلاة الرافضة الذين قالوا بتفضيل الأئمة على الأنبياء.

١٨- وقال عبد القاهر البغدادي: «ما رأينا ولا سمعنا بنوع من الكفر إلا وجدنا شعبة منه في مذهب الرافضة».

١٩- أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال عنهم: «إنهم شر من عامة أهل الأهواء، فغالب أئمتهم زنادقة، وهم من أكذب خلق الله، والرفض من أعظم أبواب النفاق، ولو نظر العاقل في زمانه وما يخرج من الفتن والشرور والفساد سيجد معظمه من قبل الرافضة، فهم أعظم الناس فتنًا وشرًا».

٢٠- وقد نقل عنه ابن القيم في مفتاح دار السعادة أنه قال: «واقرأ نسخة الخنازير من صور أشباههم، لاسيما أعداء خيار الخلق بعد الرسل -أصحاب رسول الله ﷺ- فإن هذه النسخة ظاهرة في وجوه الرافضة، يقرؤها كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وهي تظهر وتخفى بحسب خنزيرية القلب وخبثه، فإن الخنزير أخبث الحيوانات وأردؤها طباعًا».

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أن «الرافضة أكثر الناس تركًا لما أمر الله، وإتيانًا لما حرم الله، وإن كثيرًا منهم ناشئ من نطفة خبيثة موضوعة في رحم حرام -يقصد نكاح المتعة-، ولذا لا ترى فيهم إلا الخبيث اعتقادًا وعملاً، فكل شيء يرجع إلى أصله».

٢١- وقال الإمام عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله-: «الرافضة يصلون ويسجدون ويركعون عند المشاهد، فعندهم المشهد الحسيني، ومشهد العباس وعلي، واتخذوها أوثانًا، وأعادوا بها المجوسية، وأحيوا بها اللات والعزى ومعاهد أهل الجاهلية، فقد أنفقوا عندها الأموال، وقربوا لها النذور، وهذا ما يضادّ أصول الملة الحنيفية».

٢٢- وأفاد الإمام عبد الرحمن بن حسن أن الرفض خرج في خلافة علي، فأحدث الشرك وعمَّت به البلوى؛ حيث غالوا في الأولياء والصالحين من أهل البيت، فبنوا على قبورهم، فحالهم أقبح وأشنع من كثير من أهل الأهواء والبدع».

هذا قليلٌ من كثير من أقوال أهل العلم في الرفض وأهله، فهل يجوز لقائل بعد ذلك أن يرى التقريب بين الظلام والنور، وبين التوحيد والشرك، وصدق الله رب العالمين إذ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

ويقول جل وعلا: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

والله من وراء القصد.

مسابقة السنة

تعلن إدارة المعاهد وشئون التعليم عن إقامة المسابقة الكبرى في السنة النبوية للسنة الرابعة وذلك على النحو التالي:

أولاً: مستويات المسابقة

الأول: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول الكتاب إلى آخر كتاب الحج.
الثاني: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول الكتاب إلى آخر كتاب الجنائز.
الثالث: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول الكتاب إلى آخر باب صلاة التطوع.
الرابع: حفظ الأحاديث من كتاب بلوغ المرام من أول الكتاب إلى آخر باب الأذان.

مع ملاحظة أن الأحاديث تحفظ نصوصها مضبوطة بالشكل ومعها معرفة معاني المفردات وما يستفاد من الأحكام مع معرفة الصحابي راوي الحديث والكتاب والباب اللذين ورد فيهما الحديث، ومعرفة من خرج الحديث من أصحاب الكتب

ثانيًا: مواعيد إجراء المسابقة

يوم السبت	١٠ / ٤ / ٢٠١٠ م	اختبار المستوى الأول
يوم الأحد	١١ / ٤ / ٢٠١٠ م	اختبار المستوى الثاني
يوم الاثنين	١٢ / ٤ / ٢٠١٠ م	اختبار المستوى الثالث
يوم الثلاثاء	١٣ / ٤ / ٢٠١٠ م	اختبار المستوى الرابع

ثالثًا: جوائز المسابقة

	الأول	الثاني	الثالث	من الرابع إلى العاشر	من الحادي عشر إلى العشرين
المستوى الأول	٣٠٠٠ جنيه	٢٥٠٠ جنيه	٢٠٠٠ جنيه	١٢٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه
المستوى الثاني	٢٠٠٠ جنيه	١٧٠٠ جنيه	١٥٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه
المستوى الثالث	١٥٠٠ جنيه	١٠٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه
المستوى الرابع	١٠٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه

ويتم تسجيل الأسماء بالدور السابع - بالمركز العام لدى أ/ محمد مسعد، وفرع بلبيس
مع تمنيات إدارة المعاهد وشئون التعليم،
وأسرة تحرير مجلة التوحيد بالتوفيق والنجاح

من أخبار الجماعة

وفد أنصار السنة في ضيافة خادم الحرمين الشريفين

من أجل التوحيد أقيمت شعيرة الحج، فكان شعارها تنزيه الله تعالى والثناء عليه وشكره والاستجابة لأمره والصدع بتوحيده ونفي الشريك عنه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

إنه نداء التوحيد لاقتلاع مظاهر الشرك العالقة بأرجاء المعمورة من أجل إعادة الفطَر سليمة إلى سيرتها الأولى، لتتوقد بوهج التوحيد، وتشعّ بنور الوحي؛ فتستقيم في عبوديتها للواحد الديان نابذة كل الطواغيت والأوثان.

وعلى درب التوحيد جاءت استضافة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد العزيز، حفظه الله ورعاه لضيوف خادم الحرمين الشريفين من جميع أنحاء العالم الإسلامي، تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد برعاية وتوجيه صاحب المعالي وزير الشئون الإسلامية الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، حفظه الله ورعاه، ووكلاء الوزارة، وعلى رأسهم الدكتور عبد الله اللحيدان وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، والذين بذلوا جهودًا كريمة في استضافة حوالي ١٣٥٠ حاجًا من جميع أنحاء العالم.

وقد تكون وفد أنصار السنة من فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الله شاكر الجنيدي، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، ورئيس مجلس إدارة مجلة التوحيد، والأستاذ جمال سعد حاتم، رئيس تحرير مجلة التوحيد، والشيخ علي حشيش، مدير إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام لأنصار السنة، والشيخ عبد الكريم حسن، رئيس فرع إمبابة، والشيخ محمود الجمل، رئيس فرع فيصل.

وقد استقبل خادم الحرمين الشريفين رؤساء الوفود المشاركة في الضيافة؛ حيث مثَّل وفد أنصار السنة بمصر الدكتور عبد الله شاكر في مقابلة خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله وسدَّد على الحق خطاه.

كما قام وفد أنصار السنة بزيارة معالي وزير الشئون الإسلامية في مكتبه بمقر الوزارة بمسجد الخيف، وقد استمع معاليه من الرئيس العام ورئيس التحرير تقريرًا حول الجهود الدعوية التي تبذلها الجماعة وبيانًا موجزًا حول مجلة التوحيد التي أصبحت بفضل الله تعالى من أكبر وأوسع المجلات الإسلامية في العالم.

وقد قدم الوفد خالص الشكر والثناء لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، ولمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، على كرم الضيافة والحفاوة البالغة، والجهود المبذولة لاستضافة ضيوف خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله.

حفظ الله تعالى خادم الحرمين الشريفين وحكومة المملكة على ما تبذله للإسلام والمسلمين، وصلى الله على محمد آله وصحبه أجمعين.

جمال سعد حاتم – مكة المكرمة